الإمام أبو حنيفة

الإمام أبو حنيفة

هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي عرف بالإمام الأعظم.

كان جده من أهل كابل قد أسر عند فتح بلاده ثم من عليه. وأبو حنيفة - وإن كان مولى - لم يجر عليه الرق ولا على أبيه بل كان حر النفس أصيلاً ولم يكن نسبه الفارسي غاضًا من قدره في عصر يقدم شرف التقوى على شرف النسب. وكان العلم في عصره أكثره في الموالي [1] فكانوا الوسط العلمي للدولة الإسلامية بعد الصحابة ردحًا طويلاً من الزمن فصدقت فيه نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس**ـــ [2].

ولد أبو حنيفة رضي الله عنه في الكوفة سنة ثمانين للهجرة على رواية الأكثرين ونشأ وتربى بها وعاش أكثر حياته فيها متعلمًا ومجادلاً ومعلمًا.

ولد أبوه ثابت على الإسلام ويروى أنه التقى بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه صغيرًا فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته.

نشأ أبو حنيفة رضي الله عنه في بيت إسلامي خالص وقد ابتدأ حياته تاجرًا ثم لفته الشعبي فقيه الأثر لما لمح فيه من مخايل الذكاء وقوة الفكر إلى الاختلاف إلى العلماء مع التجارة فانصرف إلى العلم دون أن يهمل التجارة.

تثقف أبو حنيفة رضي الله عنه بالثقافة الإسلامية التي كانت في عصره فقد حفظ القرآن على قراءة عاصم ودرس الحديث وعرف قدرًا من النحو والأدب والشعر كما درس علم الكلام وأصول الدين وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به ثم عدل إلى الفقه واستمر

(1) الموالي: اسم أطلقه المؤرخون على غير العرب من المسلمين.
(2) مسند الإمام أحمد: ج 2 / ص 297.

عليه واستغرق كل مجهوده الفكري وقد ذكر في اختياره للفقه قوله: " كلما قلبته وأدرته لم يزدد إلا جلالة.. ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته وطلب الدنيا والآخرة إلا به ".

وقد اتجه أبو حنيفة رضي الله عنه إلى دراسة الفتيا على المشايخ الكبار الذين كانوا في عصره ولزم شيخه حماد بن أبي سليمان مذ كان في الثانية والعشرين من عمره إلى أن مات شيخه وأبو حنيفة رضي الله عنه في الأربعين من عمره.

ومع ملازمة أبي حنيفة رضي الله عنه لشيخه حماد فقد كان كثير الرحلة إلى بيت الله الحرام حاجًا يلتقي في مكة والمدينة بالفقهاء والمحدثين والعلماء يروي عنهم الأحاديث ويذاكرهم الفقه ويدارسهم ما عندهم من طرائق.

وكان يتتبع التابعين أينما وحيثما ثقفوا وخصوصًا من اتصل منهم بصحابة امتازوا في الفقه والاجتهاد وقد قال في ذلك: " تلقيت فقه عمر وفقه عبد الله بن مسعود وفقه ابن عباس عن أصحابهم ".

وقد جلس الإمام أبو حنيفة في الأربعين من عمره في مجلس شيخه حماد بمسجد الكوفة وأخذ يدارس تلاميذه ما يعرض له من فتاوى وما يبلغه من أقضية ويقيس الأشباه بأشباهها والأمثال بأمثالها بعقل قوي مستقيم ومنطق قويم حتى وضع تلك الطريقة الفقهية التي اشتق منها المذهب الحنفي

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه بالغ التدين شديد التنسك عظيم العبادة صائمًا بالنهار قائمًا بالليل تاليًا لكتاب الله خاشعًا دائبًا في طاعة الله قام الليل ثلاثين سنة وكان القرآن الكريم ديدنه وأنيسه

كان كثير البكاء يرحمه جيرانه لكثرة بكائه كثير الحياء جم الأدب وخاصة مع شيوخه بارًا بوالديه يدعو لهما في كل صلاة ويتصدق عنهما.

كان كثير الورع يقول: " لو أن عبدًا عبد الله تعالى حتى صار مثل هذه السارية ثم إنه لا يدري ما يدخل في بطنه حلال أو حرام ما تقبل منه ". ولذا كان شديد الحرج في كل ما تخالطه شبهة الإثم فإن ظن إثمًا أو توهمه في مال خرج منه وتصدق به على الفقراء والمحتاجين وقد تصدق ببضاعته كلها عندما باع شريكه ثوبًا معيبًا دون أن يظهر عيبه.

كان عظيم الأمانة في معاملاته حتى شبهه كثيرون في تجارته بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فكان مثلاً كاملاً للتاجر المستقيم كما هو في الذروة بين العلماء. قال فيه معاصره مليح بن وكيع: " كان أبو حنيفة عظيم الأمانة وكان والله في قلبه جليلاً كبيرًا عظيمًا وكان يؤثر رضا ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ".

ومن أخلاقه السماحة والجود فقد كانت تجارته تدر عليه الدر الوفير رغم ورعه واكتفائه من الربح بالقدر اليسير وكان ينفق أكثره على المشايخ والمحدثين اعترافًا بفضل الله عليه فيهم

قال فيه الفضيل بن عياض: " كان أبو حنيفة رجلاً فقيهًا معروفًا بالفقه واسع المال معروفًا بالأفضال على كل من يطيف به صبورًا على تعلم العلم بالليل والنهار حسن الليل كثير الصمت قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام فكان يحسن أن يدل على الحق رهابًا من مال السلطان ".

كان رحمه الله واحد زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمواساة والورع والإيثار لله تعالى.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه حريصًا على أن يكون مظهره كمخبره حسنًا فكان كثير العناية بثيابه كثير التطيب حسن الهيئة يحث من يعرفه على العناية بملبسه وسائر مظهره مذكرًا بحديث رسول الله صلى الله عليه

وسلم :ﷺ**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**ـــ [1].

عاش أبو حنيفة رضي الله عنه عصرًا مليئًا بالمشاحنات والتيارات فقد أدرك دولتي بني أمية والعباس وكان موقفه واضحًا من كل ما يجري حوله ولم يعرف عنه يومًا أنه خرج مع الخارجين أو ثار مع الثائرين.. لكن لما طلب منه عمر بن هبيرة والي الأمويين على الكوفة أن يعمل معه امتنع فسجن وعذب ثم هرب ولجأ إلى مكة واتخذها مقامًا ومستقرًا له من سنة (130 - 136) للهجرة فعكف على الفقه والحديث يطلبهما بمكة التي ورثت علم ابن عباس رضي الله عنهما.

ولما استتب الأمر للعباسيين عاد إلى الكوفة وأعلن ولاءه لهم وتابع حلقات درسه في مسجد الكوفة. واستمر على ولائه للدولة العباسية إلا أنه على ما يظهر انتقد موقف الخليفة المنصور من بعض آل البيت من أبناء علي رضي الله عنه وكان حول الخليفة كثيرون يحسدون أبا حنيفة - رضي الله عنه - ويوغرون صدر المنصور عليه فكان أن عرض عليه الخليفة المنصور منصب القضاء امتحانًا لإخلاصه فاعتذر الإمام عن قبول المنصب تحرجًا من الوقوع في الإثم لأنه يرى القضاء منصبًا خطيرًا لا تقوى نفسه على احتماله وتعرض لمحنة قاسية بسبب رفضه إذ وجد الخليفة المنصور الفرصة مواتية للنيل منه فسجن وعذب ثم أخرج من السجن على أن يفتي فكان يرجع المسائل ولا يفتي فيها بشيء فسجن من جديد ثم أخرج ومنع من الفتوى والناس والخروج من المنزل فكانت تلك حاله إلى أن توفي رحمه الله سنة (150) للهجرة على أصح الأقوال. وقيل إنه مات مقتولاً بالسم في سجنه رحمه الله.

وكان قد أوصى أن يدفن بأرض الخيزران فحمل إليها. وقدر عدد من شيع جنازته وصلى عليها بخمسين ألفا. وقد صلى المنصور نفسه عليها

(1) الترمذي: ج 5 / كتاب الزينة باب 41 / 2819.

إقرارا منه بعظمة دينه وتقواه وقال: من يعذرني منك حيًا وميتًا؟ رحم الله الإمام.

منزلته العلمية ومصادر علمه:

كان الإمام أبو حنيفة فقيهًا مستقلاً قد سلك في تفكيره مسلكًا استقل به وتعمق فيه. وقد بقيت أصوات الثناء تتجاوب في الأجيال تعطر سيرته قال أحد العلماء: " أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول منه صمتًا فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويًا وجهارة بالكلام ". كما وصفه معاصره الورع التقي عبد الله بن المبارك بأنه مخ العلم فهو قد أصاب من العلم اللباب ووصل فيه إلى أقصى مداه وكان يستبطن المسائل ويستكنه كنهها ويتعرف أصولها ويبني عليها. ولقد شغل عصره بفكره وعلمه ومناظراته فهو بين المتكلمين يناقشهم ويدفع أهواء ذوي الأهواء ويناقش الفرق المختلفة وله رأي في مسائل علم الكلام أثر عنه بل هناك رسائل نسبت إليه وله في الفقه والتخريج وفهم الأحاديث واستنباط علل أحكامها والبناء عليها المقام الأعلى حتى إن بعض معاصريه قال: " إنه لم يعرف أحدا أحسن فهما للحديث منه ".

من أين جاء لأبي حنيفة رضي الله عنه كل هذا العلم؟ ما مصادره؟ ما مهيئاته؟ ما الذي توافر له حتى كان منه ما رواه تاريخ العالم الإسلامي؟

لقد تهيأ لتوجيه أبي حنيفة رضي الله عنه توجيهًا علميًا ولنبوغه في وجهته أمور أربعة أولها: صفاته التي جبل عليها ثانيها: شيوخه الموجهون الذين التقى بهم وأثروا فيه ثالثها: حياته الشخصية وتجاربه ورابعها: العصر الذي أظله والبيئة الفكرية التي عاش فيها.

اتصف أبو حنيفة رضي الله عنه بصفات جعلته في الذروة بين العلماء صفات العالم الحق الثبت الثقة البعيد المدى في تفكيره المتطلع إلى الحقائق الحاضر البديهة الذي تسارع إليه الأفكار

كان رضي الله عنه ضابطًا لنفسه مستوليًا على مشاعره لا تعبث به الكلمات العارضة ولا تبعده عن الحق العبارات النابية كان يقول: " اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له ". وقد أوتي استقلالاً في تفكيره جعله لا يخضع في رأيه إلا لنص من كتاب أو سنة أو فتوى صحابي ولم يؤثر فيه الحب والبغض.

كان عميق الفكرة بعيد الغور في المسائل لا يكتفي بالبحث في ظواهر الأمور والنصوص ولا يقف عند ظاهر العبارة بل يسير وراء مراميها البعيدة أو القريبة ولعل ذلك العقل الفلسفي المتعمق هو الذي دفعه لأن يتجه أول حياته إلى علم الكلام كما دفعه لدراسة الحديث دراسة متعمقة يبحث عن علل ما اشتمل عليه من أحكام مستعينا بإشارات الألفاظ ومرامي العبارات.

كان حاضر البديهة لا تحتبس فكرته ولا يفحم في جدال واسع الحيلة يعرف كيف ينفذ إلى ما يفحم به خصمه من أيسر السبل وله في ذلك غرائب ومدهشات حتى قيل فيه: إنه لو أراد أن يثبت الحكم وعكسه لما أعجزه ذلك.

كان مخلصًا في طلب الحق مما نور قلبه وأضاء بصيرته فكان لا يهمه إلا الحق سواء كان غالبًا أو مغلوبًا. وكان لإخلاصه لا يفرض في رأيه أنه الحق المطلق بل يقول: " قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا ".

هذه جملة الصفات التي جعلت من أبي حنيفة رضي الله عنه فقيهًا انتفع بكل غذاء روحي وصل إليه كما التقى الإمام أبو حنيفة بعدد من الذين عمروا من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وسهل بن سعد رضوان الله عليهم ولكنه لم يرو عنهم إذ كان في سن لقائه بهم صغيرًا ولكن أجمع العلماء على أنه التقى بكبار التابعين وجالسهم ودارسهم وروى عنهم وتلقى فقههم

وقد قال: " كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيهًا من فقهائهم ".

وهذا يدل على أنه عاش في وسط علمي وجالس العلماء وعرف مناهج بحثهم ثم اختار من بينهم فقيهًا وجد فيه ما يرضي نزوعه العلمي وهو حماد ابن أبي سليمان الذي انتهت مشيخة الفقه العراقي في عصره فلزمه ثماني عشرة سنة. وكان حماد قد تلقى معظم فقهه على إبراهيم النخعي فقيه الرأي كما تلقى عن الشعبي فقيه الأثر وهما اللذان انتهى إليهما فقه الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكانا قد أقاما بالكوفة وأورثا أهلها تراثًا فقهيًا عظيمًا.

ومن شيوخه عطاء بن أبي رباح الذي أخذ خلاصة علم ابن عباس رضي الله عنهما عن مولاه عكرمة. وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يلازمه ما دام مجاورًا لبيت الله الحرام.

ومنهم نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وقد أخذ عنه أبو حنيفة رضي الله عنه علم ابن عمر وعلم عمر رضي الله عنهما. وهكذا اجتمع للإمام أبي حنيفة علم عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم عن طريق من تلقى عنهم من تابعيهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يقتصر الإمام أبو حنيفة على الأخذ عن هؤلاء الفقهاء بل تجاوز ذلك إلى أئمة آل البيت فأخذ عنهم ودارسهم منهم الإمام زيد بن علي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن.

ولم يكن اتصال أبي حنيفة رضي الله عنه العلمي مقصورًا على رجال الجماعة وأئمة آل البيت بل اتصل بمختلف الفرق وتعرف على آرائهم وأقوالهم فكان يأخذ من كل هذه العناصر ثم يخرج منها بفكر جديد ورأي قويم لم يكن من نوعها وإن كان فيه خيرها

وهكذا نستطيع أن نقول إنه تلقى فقه الجماعة الإسلامية بشتى منازعها وإن كان قد غلب عليه تفكير أهل الرأي بل عد شيخ أهل الرأي.

كما كانت حياة الإمام أبي حنيفة ودراساته وتجاربه تتجه به نحو تكوين فقيه العراق الأول.

فقد زاول التجارة وكان عليمًا بأحوال البيع والعرف التجاري مما جعله يتكلم في معاملات الناس وأحكامها كلام الخبير الفاهم فجعل للعرف مكانًا في تخريجه الفقهي وأحسن التخريج بالاستحسان عندما يكون في القياس منافاة للمصلحة أو العدالة.

كما كان كثير الرحلة إلى الحج وغيره يلتقي بالعلماء يدارس ويذاكر ويناظر ويروي ويفتي. هذا إلى ما تفيده الرحلات نفسها من فتق للذهن ومعرفة بمواطن الوحي والبلاد المختلفة فيحيط خبرًا بمعاني الآثار ودقائق الأخبار ويحسن التفريع في المسائل الفقهية ويحكم تصورها والإلمام بأحكامها.

وقد كان أبو حنيفة رضي الله عنه مغرمًا بالجدل والمناظرة منذ شب في طلب العلم ومجادلته في العقائد أرهفت تفكيره وعمقت مداركه ومناظراته في الفقه أطلعته على أحاديث وأوجه للقياس وفتاوى للصحابة لم يكن مطلعًا عليها.

وطريقة الإمام أبي حنيفة الخاصة في التدريس جعلت درسه مجالاً لتثقيف المعلم والمتعلم معًا فقد كان يطرح الفكرة ويناقشها مع تلاميذه كل يدلي برأيه مخالفًا أو موافقًا وبعد تقليب النظر يدلي هو بالرأي الذي تنتجه هذه الدراسة فيقر الجميع به. وهذا جعل علمه في نمو متواصل وفكره في تقدم مستمر.

وأدرك الإمام أبو حنيفة العصر الأموي في عنفوانه وقوته ثم في تحدره وانهياره وأدرك الدولة العباسية في نشأتها قوية ظافرة ناهضة

مسيطرة.

وعاش أبو حنيفة رضي الله عنه في العصر الأموي اثنتين وخمسين سنة وهي السن التي تربى فيها وبلغ أشده ثم بلغ أوجه العلمي ونضجه الفكري الكامل. ولم يدرك من العصر العباسي إلا ثماني عشرة سنة وكانت عاداته الفكرية ومناهجه العلمية قد استقامت وصار ينتج الكثير ولا يأخذ إلا القليل. وعلى هذا فما أخذه الإمام أبو حنيفة من عصره كان أكثره من الأموي وأقله من العباسي وكان العصر العباسي نموًا لما في العصر الأموي ونتائج لمقدمات بدأت قبله.

وقد أغنت الحياة السياسية الحافلة بالصراعات والاتجاهات والحياة الاجتماعية التي ضمت عناصر مختلفة لكل منها طابع خاص رغم أنها انصهرت جميعها في بوتقة الإسلام والمشاغل الفكرية في أمور العقيدة وما نشأ عنها من فرق ونحل وازدهار حركة الترجمة عن الفكر اليوناني والفارسي والهندي وتفرغ العلماء للخوض في علوم الدين الذي أثمر حركة التدوين للحديث وكثرة المناظرات والرحلات العلمية. أغنت هذه الأجواء السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية مدارك الفقهاء وساعدت في تفتق أذهان العلماء وأوجدت مناخًا ملائمًا ساعد في استخراج المسائل وفي فرض الفروض والتصورات.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه أشهر فقهاء الرأي كما كان مالك أشهر فقهاء الحديث. ويقصد بالرأي: كل ما يفتي فيه الفقيه في الأمور التي لا يجد فيها نصًا ويعتمد في فتواه على ما عرف من الدين بروحه العامة أو ما يتفق مع أحكامه في جملتها في نظر المفتي أو ما يكون مشابهًا لأمر منصوص عليه فيها فيلحق الشبيه بالشبيه. وعلى ذلك يكون الرأي شاملاً للقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف.

وأساس الاختلاف بين أهل الرأي وأهل الحديث ليس في الاحتجاج بالسنة بل في أمرين: في الأخذ بالرأي وفي تفريغ المسائل تحت سلطانه.

فقد كان أهل الحديث لا يأخذون بالرأي إلا اضطرارًا ولا يفرغون المسائل فلا يستخرجون أحكامًا لمسائل لم تقع بل لا يفتون إلا فيما يقع من الوقائع. أما أهل الرأي فيكثرون في الإفتاء بالرأي ما دام لم يصح لديهم حديث في ذلك الموضوع الذي يجتهدون فيه ولا يكتفون باستخراج أحكام المسائل الواقعة بل يفرضون مسائلاً غير واقعة ويضعون لها أحكامًا بآرائهم. وكان أكثر أهل الحديث بالحجاز لأنه موطن الصحابة الأول ومكان الوحي ولأن التابعين الذين أقاموا فيه تخرجوا على صحابة لم يكثروا من الرأي. وأكثر أهل الرأي كانوا بالعراق لأنهم تخرجوا على ابن مسعود رضي الله عنه وهو ممن كانوا يتحرجون في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتحرج في الاجتهاد برأيه ولأن العراق كان موطنًا لفلسفات وعلوم مدارس قديمة كما أن أسباب الرواية لم تتوافر عند أهله.

وقد عرف أبو حنيفة رضي الله عنه باتجاهه إلى الفرض والتقدير فكان يقدر مسائل لم تقع ويبين حكمها ويوضح أدلتها ويقول في ذلك: " إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه ".

وهكذا زاد أبو حنيفة رضي الله عنه الفقه التقديري نموًا وأكثر فيه وسلك الفقهاء من بعده مسلك الفرض والتقدير واختلفوا في المقدار.

ذكر العلماء مسندًا من الأحاديث والآثار منسوبًا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه ولكن أكثر الآراء على أن أبا حنيفة رضي الله عنه لم يدون في الفقه كتابًا مبوبًا فقد كان المعروف أن تلاميذه يدونون آراءه ويقيدونها وربما كان ذلك بإملائه أحيانًا وكان هو يراجع ما دون أحيانًا ليقره أو ليغيره. وكان في جلساته الفقهية مع تلاميذه يلقي مسألة مسألة يقلبها ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم حتى يستقر أحد الأقوال فيها ثم يثبتها أبو يوسف في الأصول حتى أثبت الأصول كلها. وبهذا النحو من التحرير دون مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه ونشره أصحابه كتبًا مبوبة مرتبة منظمة.

وكانت الأقوال التي نقلها أصحاب الإمام أبي حنيفة خالية من الدليل إلا ما يكون من أثر منقول أو خبر مشهور أو اعتماد على فتوى صحابي أو انتهاء إلى رأي تابعي وقليلاً ما يذكر قياسها أو عماد استحسانها اللهم إلا ما كتب أبي يوسف ولا تحكي إلا القليل. ولا شك أن ذلك يبعد بنا عن معرفة الإمام أبي حنيفة القياس صاحب الاستحسان الذي عد أقوى قائس في عصره فلم يجرؤ أحد على منازعته في القياس إذا قايس أو استحسن.

وإذا كانت الطبقة التي وليت أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه قد عنيت بالاستدلال واستخراج الأقيسة في الأحكام وبيان أوجه الاستحسان وأحكام العرف فإننا لسنا على ثقة كاملة من أن هذا الاستدلال الذي يسوقونه هو نفس ما كان يفكر فيه الإمام أبو حنيفة وما اهتدى على ضوئه إلى ما قرره من أحكام.

كان لأبي حنيفة رضي الله عنه تلاميذ كثيرون منهم من كان يرحل إليه ويستمع أمدًا ثم يعود إلى بلده بعد أن يأخذ طريقه ومنهاجه ومنهم من لازمه. وقد قال هو في أصحابه الذين لازموه: " هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء وستة يصلحون للفتوى واثنان أبو يوسف وزفر يصلحان لتأديب القضاة وأرباب الفتوى ".

ولا شك أن هؤلاء الصحاب الذين يقرر أبو حنيفة رضي الله عنه صلاحيتهم للقضاء والإفتاء وتأديب القضاة كانوا في حياته من النضج العلمي بحيث يمكن أن تعهد إليهم هذه الأمور الخطيرة وكانوا في سن تؤهلهم لها. أما محمد بن الحسن فقد كان في الثامنة عشر من عمره حينما توفي أبو حنيفة رحمه الله ولم تكن سنه تؤهله للقضاء مع أننا سنجد فقه أبي حنيفة - رضي الله عنه - خاصة وفقه العراقيين عامة مدين لمحمد بن الحسن بكتبه فهي التي حفظته وأبقته للأخلاف مرجعًا يرجع إليه ومنهلاً يستقى منه.

قد أضفت خدمة تلاميذ الإمام أبي حنيفة لمذهبه وعنايتهم بذلك جلالاً

على المذهب وإمامه. وسنخص بالذكر بعض أصحابه ممن كان لهم أثر في نقل فقهه إلى الأجيال اللاحقة.

أبو يوسف (113 – 182 هـ):

وهو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري نسبًا والكوفي منشأ وتعلمًا ومقامًا. نشأ فقيرًا تضطره الحاجة للعمل ثم أمده الإمام أبو حنيفة بالمال فانصرف إلى طلب العلم. جلس إلى ابن أبي ليلى الفقيه قبل أن يجلس إلى أبي حنيفة رضي الله عنه ثم انقطع إليه مع اتصاله بالمحدثين. وكان فقيهًا عالمًا حافظًا كثير الحديث عد أحفظ أصحاب الإمام أبي حنيفة للحديث. ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء العباسيين: المهدي والهادي ثم الرشيد الذي كانت له عنده مكانة وحظوة.

وقد استفاد الفقه الحنفي من أبي يوسف فوائد جليلة إذ أن اختباره للقضاء جعله يصقل المذهب صقلاً علميًا بسبب اطلاعه على الشؤون العامة ومشاكل الناس فأصبح قياسه واستحسانه مشتقًا من الحياة العملية لا من الفروض النظرية فقط. وقد استمد المذهب الحنفي نفوذًا مكينًا بتولي أبي يوسف القضاء وكونه القاضي الأول للدولة.

ولعل أبا يوسف أول فقهاء الرأي الذين دعموا آراءهم بالحديث وبذلك جمع بين طريقة أهل الرأي وطريقة أهل الحديث

ولأبي يوسف كتب كثيرة دون فيها آراءه وآراء شيخه منها كتاب الآثار وكتاب أبي حنيفة وابن أبي ليلى وكتاب الرد على سير الأوزاعي وغيرها. وفي كتبه جمال في التعبير ووضوح وجزالة ودقة قياس وإحكام فكر إلى جانب بعض الأدلة الفقهية المصورة لاتجاه الإمام أبي حنيفة في تفكيره.

محمد بن الحسن الشيباني (132 - 189 هـ):

يكنى أبا عبد الله وينتسب إلى شيبان بالولاء. كانت سنه عند موت

الإمام أبي حنيفة ثماني عشرة سنة فلم يتلق عنه أمدًا طويلاً ولكنه أتم دراسته لفقه العراق الذي صقله القضاء على أبي يوسف كما تلقى فقه الحجاز عن مالك رضي الله عنه وروايته للموطأ من أجود الروايات وتلقى فقد الشام عن الأوزاعي.

وكانت له قدرة ومهارة في التفريع والتخريج بالإضافة إلى درايته الواسعة البالغة في الأدب وامتلاكه أعنة البيان. قال فيه الشافعي: " كان محمد بن الحسن يملأ العين والقلب وكان أفصح الناس إذا تكلم خيل إلى سامعه أن القرآن نزل بلغته ". وقد تمرس بالقضاء أيضًا مما أفاده علما وتجربة وقرب فقهه من الناحية العملية التي لا تقتصر على التصور والنظر المجرد. وكان عنده اتجاه إلى التدوين فهو يعد بحق ناقل فقه العراقيين إلى الأخلاف وتعد كتبه المرجع الأول لفقه أبي حنيفة رضي الله عنه سواء في ذلك ما كان بروايته عن أبي يوسف ومراجعته عليه وما كان قد دونه من فقه أهل العراق وتلقاه عن أبي يوسف وغيره.

وأهم كتبه: المبسوط والزيادات والجامع الصغير والسير الصغير والسير الكبير والجامع الكبير وتسمى الأصول وسميت كتب ظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد برواية الثقات فهي ثابتة عنه إما متواترة أو مشهورة. ومن كتبه أيضًا كتاب الآثار الذي جمع فيه الأحاديث والآثار التي رواها أبو حنيفة رضي الله عنه وهو يتلاقى في كثير من مروياته مع كتاب الآثار لأبي يوسف وكلاهما يعد مسندًا لأبي حنيفة رضي الله عنه وقد جمعا بعناوين فقهية مرتبة. وهذه الكتب هي عماد النقل في الفقه الحنفي وتعد الأصل الذي يرجع إليه في فقه الإمام أبي حنيفة وأصحابه.

زفر بن هذيل (110 - 158 هـ):

وهو أقدم صحبة لأبي حنيفة رضي الله عنه من صاحبيه أبي يوسف ومحمد. كان ذكيًّا قوي الحجة أخذ عن الإمام أبي حنيفة فقه الرأي وكان أحد أصحابه قياسًا. ليس له كتب بل عمل على نشر آراء أبي حنيفة رضي

الله عنه بلسانه في مناظراته الفقهية مع علماء البصرة وكان قد تولى قضاءها في حياة شيخه. وقد خلف زفر أبا حنيفة رضي الله عنه في حلقته ثم خلفه من بعده أبو يوسف.

المذهب الحنفي وانتشاره:

المذهب الحنفي الذي تلقته الأجيال وخرج العلماء المسائل على ما استنبط من أصوله هو مدرسة فقهية تجمع آراء الإمام أبي حنيفة واجتهاداته إلى أقوال واجتهادات أصحابه وتلاميذه وبعض معاصريه كما تضم ما أضافه فقهاء آخرون تبنوا المذهب وساروا على نفس أصوله وإن لم يعاصروا شيخه. فكان لاختلاط الرواية عن الإمام أبي حنيفة بالرواية عن غيره ولاتحاد الأصول أثر في مزج الآراء وجعل مجموعها مذهبا واحدا.

وقد نشأ المذهب في موطن الإمام في الكوفة ثم تدارسه العلماء ببغداد بعد وفاة شيخه ثم شاع وانتشر في أكثر البقاع الإسلامية فكان في العراق ثم في مصر والشام وبلاد الروم وما وراء النهر ثم اجتاز الحدود فكان في الهند والصين حيث لا منافس له ولا مزاحم ويكاد يكون المنفرد في تلك الأصقاع النائية إلى الآن إذ المسلمون في الهند والصين يسيرون في عبادتهم وفي تنظيم أسرهم عليه دون سواه.

وقد ابتدأ ينال المنزلة الرسمية التي يسرت له الانتشار منذ أن ولي أبو يوسف منصب القضاء للرشيد ثم صار قاضي القضاة فكان لا يعين قاضيًا في البلاد الإسلامية من أقصى المشرق إلى شمالي إفريقية إلا أن يكون حنفيًا. فكان المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة وفي عهد العباسيين ثم العثمانيين.

وإذا كان انتشار المذهب الحنفي في أول الأمر بسبب اختيار الخلفاء للقضاة من أئمته فقد اكتسب نفوذًا قويًا بسبب إلف الناس له ونشاط العلماء والمناظرات فيه. كما أن طبيعة المذهب المرنة جعلته قابلاً لكل الأزمنة

ملائمًا لكل الظروف والبيئات.

مواقف من حياة الإمام أبي حنيفة:

تزببت قبل أن تحصرم:

لما جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله رجلاً فسأله عن خمس مسائل: **الأولى**: قصار جحد الثوب وجاء به مقصورًا هل يستحق الأجرة أم لا؟ فأجاب أبو يوسف رحمه الله: لا يستحق الأجر فقال له الرجل: أخطأت فقال: لا يستحق فقال: أخطأت ثم قال له الرجل: إن كانت القصار قبل الجحود استحق وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة فقال: بالفرض فقال: أخطأت. فقال: بالسنة فقال: لا أخطأت. فتحير أبو يوسف رحمه الله. فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق: هل يأكلان؟ أم لا؟ فقال: يؤكل. فخطأه فقال: لا يؤكل فخطأه ثم قال: إن كان اللحم مطبوخًا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثًا ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل له.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر فقال أبو يوسف رحمه الله: في مقابر المسلمين فخطأه فقال: في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير أبو يوسف.

فقال الرجل: تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى فقال: تجب فخطأه ثم قال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها: لا تجب وإلا: وجبت فعلم أبو يوسف

تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال: تزببت قبل أن تحصرم.

من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه:

وفي مناقب الكردري: أن سبب انفراده أنه مرض مرضًا شديدًا فعاده الإمام وقال: لقد كنت آملك بعدي للمسلمين ولئن أصبت ليموتن علم كثير فلما برأ أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي وقال له حين جاء: ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلسًا لا يحسن مسألة في الإجارة: ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه انتهى.

خدعتني امرأة وفقهتني امرأة وزهدتني امرأة:

وفي مناقب الكردري: قال الإمام الأعظم رحمه الله: خدعتني امرأة وفقهتني امرأة وزهدتني امرأة

أما الأولى: قال: كنت مجتازًا فأشارت إلي امرأة إلى شيء مطروح في الطريق فتوهمت أنها خرساء وأن الشيء لها فلما رفعته إليها قالت: احفظه حتى تسلمه لصاحبه.

الثانية: سألتني امرأة عن مسألة في الحيض فلم أعرفها فقالت قولاً تعلمت الفقه من أجله.

الثالثة: مررت ببعض الطرقات فقالت امرأة: هذا الذي يصل الفجر بوضوء العشاء فتعمدت ذلك حتى صار دأبي.

لا أرجو الجنة ولا أخاف النار:

وسئل الإمام رحمه الله تعالى عمن قال: أرجو الجنة ولا أخاف النار ولا أخاف الله تعالى وآكل الميتة وأصلي بلا قراءة وبلا ركوع وسجود وأشهد بما لم أره وأبغض الحق وأحب الفتنة فقال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل.

فقال الإمام: هذا الرجل يرجو الله لا الجنة ويخاف الله لا النار ولا

يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه ويأكل السمك والجراد ويصلي على الجنازة ويشهد بالتوحيد ويبغض الموت وهو حق ويحب المال والولد وهما فتنة له.

فقام السائل وقبل رأسه وقال: أشهد أنك للعلم وعاء.

حكاية الإمام مع قتادة: في امرأة المفقود

لا أجيبكم بشيء:

قدم قتادة الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال: سلوني عن الفقه فقال الإمام: ما تقول في امرأة المفقود فقال: قول عمر رضي الله تعالى عنه تتربص أربع سنين ثم تعتد عدة الوفاة وتتزوج بما شاءت له قال: فإن جاء زوجها الأول وقال: تزوجت وأنا حي وقال الثاني: تزوجتني ولك زوج أيهما يلاعن؟ فغضب قتادة وقال: لا أجيبكم بشيء.

أول مسألة خالف فيها أستاذه:

قال الإمام: خرجنا مع حماد نشيع لأعمش وأعوز الماء لصلاة المغرب فأفتى حماد بالتيمم لأول الوقت فقلت: يؤخر إلى آخر الوقت فإن وجد الماء وإلا يتيمم ففعلت فوجد في آخر الوقت وهذه أول مسألة خالف فيها أستاذه.

جارة لها غلام:

وكان للإمام جارة لها غلام أصاب منها دون الفرج فحبلت فقال أهلها له: كيف تلد وهي بكر فقال: هل لها أحد تثق به قالوا: عمتها فقال: تهب الغلام منها ثم تزوجها منه فإذا أزال عذرتها ردت الغلام إليها فيبطل النكاح.

حكاية النسوة يغنين:

وخرج الإمام إلى بستان فلما رجع مع أصحابه إذ هو بابن أبي ليلى راكبًا على بغلته فتسايرا فمرا على نسوة يغنين فسكتن فقال الإمام: أحسنتن فنظر ابن أبي ليلى في قمطره فوجد قضية فيها شهادته فدعاه ليشهد في

تلك القضية فلما شهد أسقط شهادته وقال: قلت للمغنيات: أحسنتن فقال: متى قلت ذلك حين سكتن أم حين كن يغنين قال: حين سكتن قال: أردت بذلك: أحسنتن بالسكوت فأمضى شهادته.

حكاية الأختين والأخوين وإفتاء الإمام:

و كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى في وليمة في الكوفة وفيها العلماء والأشراف وقد زوج صاحبها ابنيه من أختين فغلطت النساء فزفت كل بنت إلى غير زوجها ودخل بها فأفتى سفيان بقضاء علي رضي الله عنه: على كل منهما المهر وترجع كل إلى زوجها فسئل الإمام فقال: علي بالغلامين فأتي بهما فقال: أيحب كل منكما أن يكون المصاب عنده قالا: نعم فقال لكل منهما: طلق التي عند أخيك ففعل ثم أمر بتجديد النكاح فقام سفيان فقبله بين عينيه

كلب الروم والمسائل الثلاث:

وحكى الخطيب الخوارزمي أن كلب الروم أرسل إلى الخليفة مالاً جزيلاً على يد رسوله وأمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل فإن هم أجابوك: أبذل لهم المال وإن لم يجيبوك فاطلب من المسلمين الخراج فسأل العلماء فلم يأت أحد بما فيه مقنع وكان الإمام إذ ذاك صبيًا حاضرًا مع أبيه فاستأذنه في جواب الرومي فلم يأذن له فقام واستأذن من الخليفة فأذن له وكان الرومي على المنبر فقال له: أسائل أنت؟ قال: نعم.

قال: انزل مكانك الأرض ومكاني المنبر فنزل الرومي وصعد أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقال: سل فقال: أي شيء كان قبل الله تعالى قال: هل تعرف العدد قال: نعم قال: ما قبل الواحد قال: هو الأول ليس قبله شيء قال: إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظ شيء فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي فقال الرومي: في أي جهة وجه الله تعالى؟ قال: إذا أوقدت السراج فإلى أي وجه نوره قال: ذاك نور يستوي فيه الجهات الأربع فقال: إذا كان النور المجازي المستفاد الزائل لا وجه له إلى جهة فنور خالق

السموات والأرض الباقي الدائم المفيض كيف يكون له جهة؟ قال الرومي: بماذا يشتغل وجه الله تعالى قال: إذا كان على المنبر مشبه مثلك نزله وإذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه كل يوم هو في شأن فترك المال وعاد إلى الروم.

وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف رحمه الله:

وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف رحمه الله بعد أن ظهر له منه الرشد وحسن السيرة والإقبال على الناس فقال له: يا يعقوب وقر السلطان وعظم منزلته وإياك والكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقت ما لم يدعك لحاجة علمية فإنك إذا أكثرت إليه الاختلاف تهاون بك وصغرت منزلتك عنده فكن منه كما أنت من النار تنتفع وتتباعد ولا تدن منها فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه وإياك وكثرة الكلام بين يديه فإنه يأخذ عليك ما قلته ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وإنه يخطئك فتصغر في أعين قومه ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك.

ولا تدخل عليه وعنده من أهل العلم من لا تعرفه فإنك إن كنت أدون حالاً منه لعلك تترفع عليه فيضرك وإن كنت أعلم منه لعلك تنحط عنه فتسقط بذلك من عين السلطان وإذا عرض عليك شيئًا من أعماله فلا تقبل منه إلا بعد أن تعلم أنه يرضاك ويرضى مذهبك في العلم والقضايا كيلا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته بل تقرب إليه فقط وتباعد عن حاشيته ليكون مجدك وجاهك باقيًا.

ولا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تسأل عنه وإياك والكلام في العامة والتجار إلا بما يرجع إلى العلم كيلا يوقف على حبك ورغبتك في المال فإنهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم ولا تضحك ولا تتبسم بين يدي العامة

ولا تكثر الخروج إلى الأسواق ولا تكلم المراهقين فإنهم فتنة ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رؤوسهم ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ

والعامة فإنك إن قدمتهم ازدرى ذلك بعلمك وإن أخرتهم ازدرى بك من حيث إنه أسن منك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:♂**من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا**═ ولا تقعد على قوارع الطريق فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد ولا تأكل في الأسواق والمساجد ولا تشرب من السقايات ولا من أيدي السقائين ولا تقعد على الحوانيت ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الإبريسم فإن ذلك يفضي إلى الرعونة.

ولا تكثر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش إلا وقت حاجتك إليها بقدر ذلك.

ولا تكثر لمسها ومسها ولا تقربها إلا بذكر الله تعالى ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري فإنها تنبسط إليك في كلامك ولعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الأجانب.

ولا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أم أو بنت إن قدرت إلا بشرط ألا يدخل عليها أحد من أقاربها فإن المرأة إذا كانت ذات مال يدعي أبوها أن جميع مالها له وأنه عارية في يدها ولا تدخل بيت أبيها ما قدرت.

و إياك أن ترضى أن تزف في بيت أبويها فإنهم يأخذون أموالك ويطمعون فيها غاية الطمع وإياك وأن تتزوج بذات البنين والبنات فإنها تدخر جميع المال لهم وتسرق من مالك وتنفق عليهم فإن الولد أعز عليها منك.

ولا تجمع بين امرأتين في دار واحدة ولا تتزوج إلا بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها.

واطلب العلم أولاً ثم أجمع المال من الحلال ثم تزوج فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج إلى القيام بمصالحهم وتترك العلم

واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك وقت فراغ قلبك وخاطرك ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك فإن كثرة الولد والعيال يشوش البال فإذا جمعت المال فتزوج.

وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ولا تستخف بالناس ووقر نفسك ووقرهم ولا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك وقابل معاشرتهم بذكر المسائل فإنه إن كان من أهله اشتغل بالعلم وإن لم يكن من أهله أحبك.

وإياك وأن تكلم العامة بأمر الدين في الكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ومن جاءك يستفتيك في المسائل فلا تجب إلا عن سؤاله ولا تضم إليه غيره فإنه يشوش عليك جواب سؤاله

وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تعرض عن العلم فإنك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا وأقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولدا لتزيدهم رغبة في العلم ومن ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فإنه يذهب ماء وجهك ولا تحتشم من أحد عند ذكر الحق وإن كان سلطانًا ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها فالعامة إذا لم يروا منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلة الرغبة واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه.

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم: فلا تتخذها لنفسك بل كن كواحد من أهلهم ليعلموا أنك لا تقصد جاههم وإلا يخرجون عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك والعامة يخرجون عليك وينظرون إليك بأعينهم فتصير مطعونًا عندهم بلا فائدة وإن استفتوك في المسائل فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات ولا تذكر لهم شيئًا إلا عن دليل واضح ولا تطعن في أساتذتهم فإنهم يطعنون فيك

وكن من الناس على حذر وكن لله تعالى في سرك كما أنت له في علانيتك ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن تجعل سره كعلانيته وإذا أولاك السلطان عملاً لا يصلح لك فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما لا يوليك ذلك إلا لعلمك وإياك وأن تتكلم في مجلس النظر على خوف فإن ذلك يورث الخلل في الإحاطة والكلل في اللسان.

وإياك أن تكثر الضحك فإنه يميت القلب ولا تمس إلا على طمأنينة ولا تكن عجولاً في الأمور ومن دعاك من خلفك فلا تجبه فإن البهائم تنادى من خلفها وإذا تكلمت فلا تكثر صياحك ولا ترفع صوتك واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة عادة كي يتحقق عند الناس ثباتك.

وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك واتخذ لنفسك أورادًا خلف الصلاة تقرأ فيها القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر وأولاك من النعم واتخذ لنفسك أيامًا معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدي غيرك بك.

وراقب نفسك وحافظ على الغير لتنتفع من دنياك وآخرتك بعلمك ولا تشتر بنفسك ولا تبع بل اتخذ لك غلامًا مصلحًا يقوم بأشغالك وتعتمد عليه في أمورك ولا تطمئن إلى دنياك وإلى ما أنت فيه فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك.

ولا تشتر الغلمان المردان ولا تظهر من نفسك التقرب إلى السلطان وإن قربك فإنه ترفع إليك الحوائج فإن قمت أهانك وإن لم تقم أعابك.

ولا تتبع الناس في خطئهم بل اتبع في صوابهم وإذا عرفت إنسانًا بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيرًا فاذكره به إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كيلا يتبعوه ويحذروه وقال عليه السلام: ♂**اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس وإن كان ذا جاه ومنزلة**♂ والذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك ولا تبال من جاهه فإن الله

تعالى معينك وناصرك وناصر الدين فإذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين.

وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتك إياه فإن يده أقوى من بيدك تقول له: أنا مطيع لك في الشيء أنت فيه سلطان ومسلط علي غير أني أذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم فإذا فعلت مع السلطان مرة كفاك لأنك إذا واظبت عليه ودمت لعلهم يقهرونك فيكون في ذلك قمع للدين فإذا فعل ذلك مرة أو مرتين ليعرف منك الجهد في الدين والحرص في الأمر بالمعروف فإذا فعل ذلك مرة أخرى فادخل عليه وحدك في داره وانصحه في الدين وناظره إن كان مبتدعًا وإن كان سلطانًا فاذكر له ما يحضرك من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قبل منك وإلا فاسأل الله تعالى أن يحفظك منه.

واذكر الموت واستغفر للأستاذ ومن أخذت عنهم العلم وداوم على التلاوة وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة واقبل من العامة ما يعرضون عليك من رؤياهم في النبي صلى الله عليه وسلم وفي رؤيا الصالحين في المساجد والمنازل والمقابر ولا تجالس أحدًا من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين ولا تكثر اللعب والشتم وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد كيلا تتقدم عليك العامة.

ولا تتخذ دارك في جوار السلطان وما رأيت على جارك فاستره عليه فإنه أمانة ولا تظهر أسرار الناس ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما تعلم أنه يقربك إلى الله تعالى.

وأقبل وصيتي هذه فإنك تنتفع بها في أولاك وأخراك إن شاء الله تعالى.

وإياك والبخل فإنه يبغض به المرء ولا تك طماعًا ولا كثابًا ولا صاحب تخليط بل احفظ مروءتك في الأمور كلها.

وألبس من الثياب البيض في الأحوال كلها وأظهر غنى القلب مظهرًا من نفسك قلة الحرص والرغبة في الدنيا وأظهر من نفسك الغناء ولا تظهر الفقر وإن كنت فقيرًا وكن ذا همة فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته.

وإذا مشيت في الطريق فلا تلتفت يمينًا ولا شمالاً بل داوم النظر إلى الأرض وإذا دخلت الحمام فلا تساو الناس في أجرة الحمام والمجلس بل ارجح على ما تعطي العامة لتظهر مروءتك بينهم فيعظمونك ولا تسلم الأمتعة إلى الحائك وسائر الصناع بل اتخذ لنفسك ثقة يفعل ذلك ولا تماكس بالحبات والدوانيق ولا تزن الدراهم بل اعتمد على غيرك.

وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم فإن ما عند الله خير منها وول أمورك غيرك ليمكنك الإقبال على العلم فإن ذلك أحفظ لحاجتك

وإياك إن تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فإنهم يطلبون تخجيلك ولا يبالون منك وإن عرفوك على الحق.

وإذا دخلت على قوم كبارة فلا ترتفع عليهم ما لم يرفعوك كيلا يلحق بك منهم أذية وإذا كنت في قوم تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك على وجه التعظيم.

ولا تدخل الحمام وقت الظهيرة والغداة ولا تخرج إلى النظارات ولا تحضر مظالم السلاطين إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئًا ينزلون على قولك بالحق فإنهم إن فعلوا ما لا يحل وأنت عندهم ربما لا تملك منعهم ويظن الناس أن ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه.

وإياك والغضب في مجلس العلم ولا تقص على العامة فإن القاص لا بد له أن يكذب وإذا أردت اتخاذ مجلس لأحد من أهل العلم فإن كان مجلس فقه فاحضر بنفسك واذكر فيه ما تعلمه وإلا فلا كيلا يغتر الناس بحضورك

فيظنون أنه على صفة من العلم وليس هو على تلك الصفة وإن كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك وإلا فلا ولا تقعد ليدرس الآخر بين يديك بل اترك عنده من أصحابك ليخبرك بكيفية كلامه وكمية علمه ولا تحضر مجالس الذكر أو من يتخذ مجلس وعظ بجاهك وتزكيتك له بل وجه أهل محلتك وعامتك الذين تعتمد عليهم مع واحد من أصحابك.

وفوض أمر المناكح إلى خطيب ناحيتك وكذا صلاة الجنازة والعيدين.

ولا تنسني من صالح دعائك واقبل هذه الموعظة مني وإنما أوصيك لمصلحتك ومصلحة المسلمين [1].

ثانيا: ومن ذلك أيضًا أن أبا حنيفة ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة إلى أن علم موتها، سبع سنين تورعا منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه، إذ هذا شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام.

أبو حنيفة ومالك:

أخرج القاضي عياض في (المدارك) قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكًا في المدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري. قال الليث: ثم لقيت أبا حنيفة، وقلت له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام.

قال ابن سماعة: قال أبو يوسف: حج ابو حنيفة فوقعت بالكوفة مسألة الدور فسئل ابن شبرمة وابن أبي ليلى والثوري والناس بالكوفة فلم يكن عندهم فيها شيء فسئل أصحاب أبي حنيفة فلم يكن عندهم فيها جواب فقالوا: ليس لها إلا ابو حنيفة فاشرأبت نفوسنا إلى قدومه حتى خفنا عليه

(1) زَيْنُ العَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ نُجَيْمٍ (926 - 970هـ)، الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ=1980م، 426/1 - 433.

وعلى أنفسنا وخفنا أن يعجز عن الجواب فيذهب قدره وقدرنا معه حتى تمنى بعضنا موته فلما قرب أبو حنيفة من الكوفة استقبلته وقلت أخبره بالمسألة لعله أن يعمل فكره فيها قبل أن يسأل عنها فلما لقيته قال يعقوب: فحملني معه ثم جاء الناس وكثروا يستقبلونه فلم أقدر أن أقول له فيها شيئًا ثم دعا بدابة فركب وحملني على دابة معه وحمل سائر الناس حولنا حتى ضاقت الطرقات فلما قدم وأتى المسجد صلى فيه ركعتين واجتمع الناس فكان أول شيء سئل عنه المسألة التي ألقيت من الدور قال: فلما ألقيت عليه نكس رأسه قال: فلما رأيته نكس رأسه علمت أنها ستخرج ثم رفع رأسه فقال الجواب فيها كذا وكذا قال فسررنا وسر الناس قال: فلما مات أبو حنيفة كنت يومًا في دار الخيفة إذ مر بنا رجل جل فقالوا هذا الحاسب وجعل أصحاب الخليفة يعظمونه فدعوته وقلت باب من الفقه وكانت المسألة قد اضطرب علي منها شيء مما قاله أبو حنيفة فقلت: إنا قد احتجنا فيه إلى الحساب قال: فأخبرته قال: اعمله من باب كذا وكذا فعملته فلم يخرج فقال: باب كذا فعملته فلم يخرج فلم يزل يلقي علي الأبواب فلم يخرج فقال: لم يبق إلا باب واحد فإن خرج وإلا فليس له باب يخرج منه أصلا فذكر قول أبي حنيفة فعملت به فخرج فقلت: ليست يخرج وخفت أن يذهب فيعمل عليه تلك المسألة قال: فانصرفت فعملت الباب وعملت المسائل عليه وجعلت إذا لقيته فسألني أُعمي عليه الجواب مخافة أن يفطن له وكان مفتنًا حاسبًا.

قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: سمعت داود الطائي يقول: لما نزل أبو العباس الكوفة وجه إلى العلماء فجمعهم فقال: إن هذا الأمر قد أفضى إلى أهل بيت نبيكم وجاءكم الله بالفضل وإقامة الحق وأنتم يا معشر العلماء أحق من أعان عليه ولكم الحباء والكرامة والضيافة من مال الله ما أحببتم فبايعوا بيعة تكون لكم عند إمامكم حجة عليكم وأمانًا في معادكم لا تلقون الله بلا إمام فتكونوا ممن لا حجة له ولا تقولوا أمير المؤمنين نهابه

أن نقول الحق فنظر القوم إلى أبي حنيفة فقال: إن أحببتم أن أتكلم عني وعنكم فأمسكوا قالوا: قد أحببنا ذلك فقال: الحمد لله الذي بلغ الحق من قرابة من نبيه صلى الله عليه وسلم وأماط عنا جور الظلمة وبسط ألسنتنا بالحق وقد بايعناك على أمر الله والوفاء لك بعهد الله إلى قيام الساعة فلا أخلى الله هذا الأمر ممن قربه من نبيه فأجابه أبوالعباس بجواب جميل.

وقال مثلك من خطب عن العلماء لقد أحسنوا اختيارك وأحسنت في البلاغ فلما خرجوا قالوا له: ما أردت بقولك إلى قيام الساعة وقد انقضت الساعة قال: إن احتلتم علي احتلت لنفسي وأسلمتكم للبلاء فسكت القوم وعلموا أن الحق ما صنع.

عجزت النساء أن يلدن مثلك:

قال شريك: قال كنا في جنازة ومعنا سفيان الثوري وابن شبرمة وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة وأبو الأحوص ومندل وحبان وكانت الجنازة لكهل سيد من كهول بني هاشم توفي ابن له فخرج في جنازته وجوه أهل الكوفة يمشون حتى وقفت الجنازة فسأل الناس عنها فقالوا: خرجت أمه ولهى وألقت ثوبها عليه وبرزت وكشفت رأسها وكانت هاشمية شريفة فصاح أبوه بها فأمرها أن ترجع فأبت فحلف بالطلاق لترجعن وحلفت بعتاق كل مملوك لها ألاَّ ترجع حتى يصلى عليه فمشى الناس بعضهم إلى بعض ووقفوا وسألوا فلم يتكلم فيها أحد وأجاب منهم أحد بجواب فهتف أبوه بأبي حنيفة وقال: يا نعمان أغثنا فجاء أبو حنيفة فقال: كيف حلفت؟ فأعادت عليه وقال للكهل: كيف حلفت؟ فأعاد عليه فقال: ضعوا السرير فوضع فقال للأب: تقدم فصل على ابنك فتقدم فصلى عليه والناس خلفه ونادوا فيمن تقدم حتى لحقوا بالناس ثم قال: احملوه إلى قبره وارجعي إلى منزلك فقد بررت وقال لأبيه: ارجع فقد بررت فقال ابن شبرمة: يومئذ عجزت النساء أن يلدن مثلك سريعًا ما عليك في العلم كلفة.

فكيف أصنع إذا تبين الخطأ:

قال ابن المبارك: سأل رجل أبا حنيفة عن خوخة أراد أن يفتحها في حائط له في داره فقال: افتح ما شئت ولا تطلع على جارك فأتى به جاره إلى ابن أبي ليلى فمنعه منه فشكا إلى أبي حنيفة قال: فافتح فيه بابًا فجاء ليفتح الباب فأتى به إلى ابن أبي ليلى فمنعه فقال: كم قيمة حائطك؟ قال: ثلاثة دنانير قال: هي لك علي واذهب فاهدم الحائط من أوله إلى آخره فجاءه يهدمه فمنعه فأتى به إلى ابن ابي ليلى فقال: يهدم حائطه وتسألني أن أمنعه من ذلك اذهب فاهدمه واصنع ما شئت قال: فلم عنيتني ومنعتني من فتح خوخة وكان ذلك أهون علي قال: إذا كان يذهب إلى من يدله على خطأي فكيف أصنع إذا تبين الخطأ.

ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الأرض في الفقه لرجحهم إن شاء الله:

قال ابن المبارك: سألت أبا حنيفة عن درهم لرجل ودرهمين لآخر اختلطت ثم ضاع درهمان من الثلاثة لا يعلم من أيهما فقال أبو حنيفة: الدرهم الباقي بينهما على ثلاثة قال: فلقيت ابن شبرمة فسألته عنها فقال: سألت عنها أحدًا فقلت: نعم، سألت أبا حنيفة قال: قال لك الدرهم الباقي بينهما أثلاثًا قلت: نعم، قال: أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر هو منهما جميعا فالدرهم الذي بقي هو بينهما نصفين قال: فاستحسنت ذلك جدًا فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض في الفقه لرجحهم إن شاء الله فقال لي: لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم أن أحد الدرهمين الضائعين من الدرهمين وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما نصفان قلت: نعم قال: إن الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا من كل درهم فأي درهم ذهب ذهب بحصتهما.

تحسن كل شيء:

قال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوى لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئًا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا له تحسن كل شيء قال عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم.

إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل:

حدث أبو حنيفة عن حماد أنه كان يقول: إذا سئلت عن معضلة فاقلبها سؤالاً على سائلك عنها حتى تخلص من مسألته لك فدس إلى رجل فقعد لي على الباب وأنا عند ابن هبيرة وقد أمر بي إلى السجن فسعى الرجل إلى السجن فقال: يا أبا حنيفة يحل للرجل إذا أمره السلطان الأعظم أن يقتل رجلاً أن يقتله قال: قلت له وكان الرجل ممن وجب عليه القتل قال: نعم، قلت: فاقتله قال: فإن لم يكن ممن وجب عليه القتل قال: قلت إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل.

الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئًا:

قال بشر بن الوليد: كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة ويكثر عنده فقال يومًا لأبي حنيفة إني أريد التزويج إلى آل فلان من أهل الكوفة وقد خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي وقد تعلقت نفسي بالتزويج فقال أبو حنيفة: فاستخر الله وأعطهم ما يطلبونه منك فلعل زوجتك أن تسمح لك إذا دخلت بها بما يبقى من الصداق عليك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل وقد أبوا أن يحملوها إلي إلا بعد وفاء المهر كله فماذا ترى قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه فلما دخل بأهله وحملت إليه قال له

أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج من هذا البلد إلى موضع بعيد وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش وأنه يريد حمل أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة يشكونه ويستفتونه في ذلك فقال لهم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه فأجابوا إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى: أن القوم قد سمحوا أجابوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرئوك منه فقال له الفتى فأنا أريد منهم شيئا آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين فلا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال: فقال الرجل: الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئًا فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

فأعطوني منها ديناراً واحداً:

عن وكيع قال: كنا عند أبي حنيفة وأتته امرأة فقالت: مات أخي وخلف ستمائة دينار فأعطوني منها دينارًا واحدًا قال: ومن قسم فريضتكم؟ قالت: داود الطائي قال: هو حقك أليس خلف أخوك بنتين قالت: بلى، قال: وأمًا قالت: بلى، قال: وزوجة قالت: بلى قال: واثني عشر أخًا وأختًا واحدة قالت: بلى قال: فإن للبنات الثلثين أربعمائة وللأم السدس مائة وللمرأة خمسة وسبعين ويبقى خمس وعشرون للإخوة أربعة وعشرون لكل أخ ديناران فلك دينار.

قال: لا وانصرف من وقته:

قال الحسن بن أبي مالك دخل أبو حنيفة إلى ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضي حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه: ائذن لمن حضر من الخصوم في التقدم كأنه أراد أن يرى أبو

حنيفة إمضاءه في القضاء والحكم فدخل الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه رجلان فقال أحدهما: أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنى وشتمني وقال يا بن الزانية وأنا أسأل القاضي أن يأخذ لي بحقي فقال ابن أبي ليلى للمدعى عليه: ما تقول؟ فقال له أبو حنيفة رضي الله عنه لم تسأله عن دعواه وليس هو له بخصم إنه إنما يذكر أنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك قال: لا قال فأقبل على صاحبك فاسأله أحية أمه أم ميتة؟ فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولا آخر.

قال: فرجع ابن أبي ليلى على المدعى فقال له: أمك أحية أم ميتة قال: بل، ميتة قال له: أقم عندي البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك قال: فأقام عنده البينة بوفاتها فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عما يقول المدعي فقال له أبو حنيفة أقبل على صاحبك فسله هل لأمه وارث غيره فإن كان له إخوة كانت المطالبة له ولهم وإن كان هو الوارث وحده كان قولاً آخر فقال ابن ابي ليلى للمدعي: هل لأمك وارث غيرك؟ قال: لا قال: فأقم عندي البينة بذلك فأقام البينة أنه وارث أمه لا وارث لها غيره قال: فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعي فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: أقبل على صاحبك واسأله عن أمه أحرة هي أم أمة فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أو أمة؟ قال: بل حرة قال فأقم عندي بذلك بينة فأقام البينة بذلك فذهب ليسأل المدعى عليه فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: ارجع أيضًا إلى صاحبك واسأله أمسلمة هي أم معاهدة قال: حرة مسلمة من بنات آل فلان قوم سراة بالكوفة قال: فأقم البينة عندي بأنها مسلمة فأقام البينة عنده بأنها مسلمة فقال أبو حنيفة رضي الله عنه شأنك الآن فاسأل الرجل عما ادعاه المدعي فسأله فأنكر فقال للمدعي: ألك بينة؟ قال: نعم جماعة من وجوه أهل الكوفة قال فأحضرهم مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه قال: فأحضرهم ونهض أبو حنيفة فقال له ابن أبي ليلى تجلس حتى تحضر

البينة قال: لا وانصرف من وقته.

رجل فما فوقه يا أبا حنيفة:

قال أسد بن عمرو: دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة فخرج فقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته فقال له أبو حنيفة: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعوامًا ونعى إليها وظنت امرأته أنه ميت فتزوجت ثم قدم زوجها الأول وقد ولدت ولدًا فنفاه الأول وادعاه الثاني أكل واحد منهما قذفها أم الذي أنكر الولد ما الجواب فيها فقال أبو حنيفة إن قال فيها برأيه ليخطئن وإن قال فيها حدثنا ليكذبن قال قتادة: أوقعت هذه المسألة قالوا: لا، قال: فلم تسألوني عما لم يكن؟ فقال له أبو حنيفة: إن العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله فإذا نزل عرفوه وعرفوا الدخول فيه والخروج منه، فقال قتادة: دعوا هذا وسلوني عن التفسير، فقال أبو حنيفة: ما نقول في قول الله:{قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل: ٤٠] قال: نعم كان هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف اسم الله الأعظم قال: فهل كان سليمان عليه السلام يعرف هذا الاسم قال: لا، قال: أفيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي قال: لا، والله لا أحدثكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة: أمؤمن أنت، قال: أرجو، قال: ولم؟ قال لقوله تعالى:{ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾} [الشعراء: ٨٢] قال أبو حنيفة: فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام لما قال له:{أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى} [البقرة: ٢٦٠] قال: فقام قتادة فدخل الدار مغضبًا وحلف أن لا يحدثهم قال أبو حنيفة: ثم قدم الكوفة بعد سنين وكان ضريرًا فناديته يا أبا الخطاب ما تقول في قوله:{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢] قال رجل: فما فوقه يا أبا حنيفة وعرفني بالنغمة وكان يسمع الناس يكنوني.

هذا حسن:

عن إبراهيم الصائغ قال: كنت عند عطاء بن أبي رباح وعنده أبو حنيفة فسئل عن قول الله{وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ} [الأنبياء: ٨٤] فقال عطاء رد الله على أيوب عليه السلام أهله ومثل أهله وولده فقال أبو حنيفة أو يرد الله على نبي ولدًا ليسوا له من صلبه يا أبا محمد فقال: ما سمعت فيها عافاك الله فقال: رد الله على أيوب أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا حسن.

كلنا عنه غافل:

قال أبو يوسف قال رجل لأبي حنيفة إني حلفت أن لا أكلم امرأتي أو تكلمني وحلفت بصدقة ما تملك أن لا تكلمني أو أكلمها قال: سألت عنها أحدًا قال: نعم، سفيان الثوري فقال: من كلم صاحبه حنث فقال: كلمها ولا حنث عليكما فذهب إلى سفيان وكان قرابة له فأخبره قال: فجاءني سفيان مغضبًا وقال تبيح الفروج قال: وما ذاك ثم قال أعيدوا على أبي عبد الله السؤال فأعادوه فأعاد أبو حنيفة بمثل ما أفتى فقال له: من أين قلت؟ قال: لما شافهته باليمين بعدما حلف كانت مكلمة له وسقطت يمينه فإن كلمها فلا حنث عليه ولا عليها لأنها قد كلمته بعد اليمين فسقطت اليمين عنهما فقال سفيان: إنه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنه غافل.

هذا رزين:

عن علي بن مسهر قال: كنا عند أبي حنيفة رضي الله عنه فأتاه عبد الله ابن المبارك فقال له: ما تقول في رجل كان يطبخ قدرًا له فوقع فيها طائر فمات فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما ترون فيها؟ فرووا له عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل فقال أبو حنيفة هكذا نقول إلا أن في ذلك شريطة إن كان وقع في حال غليانها ألقي اللحم وأهريق المرق وإن كان وقع فيها في حال سكونها غسل اللحم وأهريق المرق قال له ابن المبارك: من أين قلت هذا؟ فقال: لأنه إذا وقع فيها في حال غليانها فقد وصل من اللحم إلى حيث يصل منه الخل والتوابل

وإذا وقع فيها في حال سكونها فإنما لطخ اللحم ولم يداخله فقال ابن المبارك: هذا رزين يعني المذهب بالفارسية وعقد بيده ثلاثين.

هو والله من أولياء الله حقا:

قال زائدة: قال رجل لأبي حنيفة ما تقول في رجل قال لا أرجو الجنة ولا أخاف النار وآكل الميتة وأشهد بما لم أر ولا أخاف الله وأصلي بلا ركوع ولاسجود وأبغض الحق وأحب الفتنة فقال له أبو حنيفة وكان يعرفه شديد البغض له: يا أبا فلان سألتني عن هذه ولك بها علم فقال له الرجل: لا ولكن لم أجد شيئًا هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال أبو حنيفة لأصحابه ما تقولون في هذا الرجل قالوا: شر رجل متهم هذه صفة كافر فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه: هو والله من أولياء الله حقا ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تكف عني شر لسانك ولا تملي على الحفظة ما يضرك قال: نعم فقال أبو حنيفة: أما قولك لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإنه يرجو رب الجنة ويخاف رب النار وقولك لا يخاف الله فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره فقال الله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦] وقولك يأكل الميتة فهو أكل السمك وقوله يصلي بلا ركوع ولا سجود فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي عليه السلام وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلي عليها وقولك يشهد بما لم ير فهذه شهادة الحق يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وقولك يبغض الحق فهو يحب البقاء حتى يطيع الله أبدًا ويبغض الموت وهو الحق قال تعالى{وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ} [ق: ١٩] وأما الفتنة فالقلوب مجبولة على حب المال والولد وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين.

اشكر الله الذي رده عليك:

قال أبو يوسف: قال رجل لأبي حنيفة: إني قد دفنت شيئًا ولا أدري أين دفنته من البيت قال: وأنا أحرى أن لا أدري به قال: فبكى الرجل فقال أبو

حنيفة: قوموا بنا فقام ومعه نفر من أصحابه فأتى بهم الرجل إلى منزله فقال: أين يكون من الدار وأين موضع قماشك؟ فأدخلهم إلى بيت في الدار فقال لأصحابه: لو كان هذا البيت لكم ومعكم شيء تريدون أن تدفنوه كيف كنتم تصنعون فقال: هذا كنت أدفنه ها هنا وقال الآخر موضعًا آخر حتى قالوا خمسة أقاويل فحفر منها موضعين ووجده في الثالث وقال له: اشكر الله الذي رده عليك.

فهلا أتممت ليلتك شكراً لله تعالى:

عن الحسن بن زياد قال: دفن رجل ماله في موضع ثم نسي أي موضع دفنه فطلبه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة: ليس هذا بفقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغد فإنك ستذكر أي موضع دفنته فيه ففعل الرجل فلم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر أي موضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك ويحك فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله تعالى.

حتى يحضر ما هو أجل من هذا:

قال علي بن أبي علي: كنت عند الحسن بن علي قاضي مرو فذكر أبا حنيفة وفطنته فقال: استودع رجل من الحاج رجلاً بالكوفة وديعة وحج ثم رجع فطلب وديعته فأنكر المستودع الوديعة وجعل يحلف له فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة وشاوره فقال: لا تعلم بجحوده أحدًا وكان المستودع يجالس أبا حنيفة فخلا به فقال: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيرون في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قليلاً وأقبل أبو حنيفة يرغبه وهو يمتنع ثم جاء صاحب الوديعة فقال له أبو حنيفة: اذهب فقل له أحسبك نسيت أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا قال: فذهب الرجل فقال له ذلك فدفع إليه الوديعة فلما رجع المستودع قال له أبو حنيفة إني نظرت في أمرك فرأيت أن أرفع من قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

قال فأجمعوا كل داعر وكل متهم:

عن محمد بن الحسن قال: دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثًا أن لا يعلم أحدًا وأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة: أحضرني أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم فأحضرهم إياه فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم قال: فأجمعوا كل داعر وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد ثم أخرجوهم واحدًا واحدًا فقولوا له: هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال: لا، وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقتصوا عليه ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة فرد الله عليه جميع ما سرق منه.

ما تقول في عبد بين اثنين!:

قال يوسف بن خالد سمعت أبا حنيفة قال: قدم علينا ربيعة الرأي ويحيى ابن سعيد قاضي الكوفة فقال يحيى لربيعة: ألا تعجب من أهل هذا المصر أجمعوا على رأي رجل واحد قال أبو حنيفة: فبلغني ذلك فأرسلت إليه يعقوب وزفر وعدة من أصحابنا فقلت: قايسوه وناظروه فقال له يعقوب: ما تقول في عبد بين اثنين اعتقه أحدهما؟ قال: لا يجوز عتقه قال: لم؟ قال: لأن هذا ضرر وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار قال: فإن أعتقه الآخر قال: جاز عتقه قال: تركت قولك إن كان الكلام الأول لم يعمل شيئًا ولم يقع به عتق فقد أعتقه الثاني وهو عبد فسكت [1].

ذكر ما روي من أخبار أبي حنيفة مع المنصور:

عن أبي حنيفة قال: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال: يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم قلت: عن حماد عن إبراهيم عن أصحاب عمر بن

(1) القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، سنة النشر 1405هـ - 1985م، ص 18 - 41.

الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة رضي الله عن الطيبين المباركين صلوات الله عليهم أجمعين.

والله لو ضرب عنقي عن أن أمس منها درهماً ما مسسته:

قال الربيع بن يونس جمع المنصور مالكًا وابن أبي ذئب وأبا حنيفة فقال لهم: كيف ترون هذا الأمر الذي أعطاني الله من أمر الأمة هل أنا لذلك أهل فسكت القوم فقال لابن أبي ذئب: ما تقول في الذي قلدني الله من أمر هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إن ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء وملك الآخرة يؤتيه الله من طلبه من الله ووفقه له وإن التوفيق إذا أطعت الله قرب منك وإن عصيت بعد وإن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها والعون لمن وليها وأنت وأعوانك كنتم خارجين من التوفيق عالين على الخلق فإن سألت الله السلامة وتقربت إليه بالأعمال الزاكية كان ذلك في نجاتك وإلا فأنت المطلوب قال: فكنت أنا ومالك بن أنس نجمع ثيابنا نخاف أن يترشش علينا من دمه ثم قال لأبي حنيفة ما تقول قال المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب إذا أنت نصحت لنفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا وإنما أردت أن تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه مخافة سيفك وحبسك ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى والخلافة تكون عن إجماع المؤمنين ومشورتهم فهذا أبو بكر يمسك عن الحكم ستة أشهر حتى أتته بيعة أهل اليمن فقال لمالك ما تقول قال: لو لم يرك الله أهلا لذلك ما قدرلك ملك أمر الأمة وأزال عنهم من بعد من نبيهم وقرب هذا الأمر إلى أهل بيته أعانك الله على ما ولاك وألهمك الشكر على ما خولك وأعانك على ما استرعاك فأمرهم فانصرفوا ثم قال لي المنصور خذ معك ثلاث بدر واتبع القوم فإن أخذها مالك كلها فادفعها إليه وإن أخذ ابن أبي ذئب أو أبو حنيفة شيئًا فجئني برأسيهما فأتيت ابن أبي ذئب فقلت له فقال: ما أرضى هذا المال له فكيف آخذه لنفسي وقال أبو حنيفة: ما أنفع

له إن كان يعطي من يرحم أن يرحم نفسه ممن يظلم والله لو ضرب عنقي عن أن أمس منها درهمًا ما مسسته وأتيت مالكًا فأخذها كلها فأتيت المنصور فأعلمته فقال: بهذه الصيانة حقنوا دماءهم.

انصرف إلى بلادك ولا تفتِ الناس:

قال الربيع بن يونس: سمعت المنصور يقول للفقهاء وفيهم أبو حنيفة: أليس الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :♂**صحيح المؤمنون عند شروطهم؟**ـــ فقالوا: بلى، فقال: إن أهل الموصل شرطوا أن لا يخرجوا علي وقد خرجوا فقد أحل الله لي دماءهم وأموالهم فسكت أبوحنيفة رضي الله عنه وجعل الجواب يكون من غيره فقال رجل منهم: يدك المبسوطة عليهم وقولك المقبول فيهم فإن عفوت فأهل العفو أنت وإن عاقبتهم فيما يستحقون فقال المنصور لأبي حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ؟ فقال: ألسنا في خلافة نبوة وأمان؟ قال: بلى قال: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون وشرطت عليهم ما ليس لك فإن أخذت ما لا يحل فشرط الله أحق أن يوفى به فقال: قوموا فقاموا فتفرقوا ثم أحضرهم فقال لأبي حنيفة: يا شيخ إني فكرت فيما قلت فإذا القول كما قلت انصرف إلى بلادك ولا تفتي الناس بما يكون فيه شين على إمامك فتبسط على أيدي الخوارج.

أراد الرجل أن يرهقنا فأرهقناه:

قال أبو خازم القاضي: تقلد الكوفة رجل من قبل أبي جعفر المنصور فأراد أذى أبي حنيفة فقال: والله لأسألنه عن مسألة تكون سببًا لقتله ثم أحضره على رؤوس الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمرني بضرب الأعناق وسفك الدماء وأخذ الأموال وانتهاك المحارم أفأطيعه في ذلك أم أعصيه فقال له أبو حنيفة: ما يأمرك به أمير المؤمنين طاعة لله أم معصيته؟ قال: لا بل طاعة لله: فقال له أبو حنيفة: أطع أمير المؤمنين أكرمه الله في كل ما كان طاعة لله ولا تعصه وخرج وأصحابه على الباب فقال لهم: أراد الرجل أن يرهقنا فأرهقناه فإذا أتتكم معضلة فاجعلوا جوابها

منها.

لم أدعكم إلا لخير:

عن عبيد بن إسماعيل قال: بعث المنصور إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري وشريك فأدخلوا عليه فقال لهم: لم أدعكم إلا لخير وكتب قبل ذلك ثلاث عهود فقال لسفيان: هذا عهدك على قضاء البصرة فخذه والحق بها وقال لشريك: هذا عهدك على قضاء الكوفة فخذه وامض وقال لأبي حنيفة: هذا عهدك على قضاء مدينتي وما يليها فخذه ثم قال لحاجبه: وجه معهم أو كما قال فمن أبى فاضربه مائة سوط فأما شريك فأخذ عهده ومضى وأما سفيان فقال لعون كان وكل به هو ذا أخرج ودخل منزله فوضع الكتاب في طاق بيته وهرب إلى اليمن فيقال أن هشام بن يوسف وعبد الرزاق سمعا منه هناك ويقال إنه كان يحدثهم قائمًا على رجله خشية فحدثهم أربعة آلاف حديث فأما أبو حنيفة فلم يقبل العهد فضرب مائة سوط وحبس ومات في الحبس.

لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس أقوام كثيرة:

وقال محمد بن شجاع: سمعت شيخًا يكنى أبا معشر يحدث بهذا الحديث فسألت الحسن بن أبي مالك عن ذلك فقال لي: هذا مشهور من أمره ما زلنا نتذاكر هذا ونتحدث به قال جيء بأبي حنيفة إلى المنصور فأنزله قال: فجاء الحسن بن عمارة فقال له: يا أبا حنيفة قد احتجت إليك وإلى رأيك اليوم قد أمر لي بجائزة وذكر ألوف دراهم فإن لم أقبلها خشيت أن أقتل فاحتل لي في صرفها عني قال وأمر لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم وكان المتولي لإعطاء ذلك الحسن بن قحطبة فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بها إليه أصبح لا يكلم أحدًا كأنه مغمى عليه فأتى في ذلك اليوم بالدراهم فجاء بها رسول الحسن بن قحطبة فدخل بها عليه فقالوا له: ما تكلم اليوم بكلمة فقال: كيف أصنع؟ قالوا: انظر ما ترى فوضعها في مسجدي في ناحية البيت فانصرف فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع فلما

مات أبو حنيفة كان ابنه حماد غائبًا فقدم بعد موته فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن بن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل فقال إني وجدت في وصية أبي إذا دفنت فخذ هذه البدرة التي في زاوية البيت فأت بها الحسن بن قحطبة فقل هذه وديعتك التي كانت عندنا فأدخلت البدرة فنظر إليها الحسن وقال له: رحم الله أباك لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس أقوام كثيرة.

قال عباس الدوري حدثونا عن المنصور أنه لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط قال: أو تفعل قال: نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق بقية ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال: ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار: ما تقول؟ قال: استحلفه لي فقال أبو حنيفة للرجل: قل والله الذي لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معزمًا على أن يحلف قطع عليه وضرب بيده إلى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين فقال للصفار: هذان الدرهمان عوض من باقي تورك فنظر الصفار إليهما وقال: نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات.

أخبار أبي حنيفة مع سفيان الثوري:

إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة:

قال بشار بن قيراط وكان شريك أبي حنيفة قال: حججت مع أبي حنيفة وسفيان فكانا إذا نزلا منزلا أو بلدة اجتمع عليهما الناس وقالوا فقيها العراق فكان سفيان يقدم أبا حنيفة ويمشي خلفه وإذا سئل عن مسألة وأبوحنيفة حاضر لم يجب حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب فسئل أبو حنيفة عن النبيذ فأراد أن يرخص فيه فوضع سفيان يده على فم أبي حنيفة

ثم قال له إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة.

فلم يرجع سفيان بعد ذلك:

قال يحيى بن عبد الحميد: بلغ أبا حنيفة أن سفيان يتدثر بثوبه وينام خلف أسطوانته فيتسمع مسائله فقال أبو حنيفة إذا جاء فآذنوني فقيل له: قد جاء سفيان فقال: حدثني سعيد بن مسروق أبو هذا المسجى عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج أن بعيرًا من إبل الصدقة ند فرماه رجل بسهم فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: كلوه فإن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فما ند عليكم فاصنعوا به هكذا قال: فلم يرجع سفيان بعد ذلك.

قال ابن سماعة: سمعت أبا يوسف قال: كان أبو حنيفة يجلس فكان سفيان يأتي متنكرًا يسمع ما يقول من حيث لا يعلم به فانصرف فإذا رجل نائم ملتف بكسائه فقال أبو حنيفة: حدثني أبو هذا النائم سعيد بن مسروق والذي يعلم ما أقول لوددت أن كل شيء أحسنه في صدره أو صدر صبيان الكتاب.

وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها:

قال زائدة: رأيت تحت رأس سفيان كتابًا ينظر فيه فاستأذنته في النظر فيه فدفعه إلي فإذا هو كتاب الرهن لأبي حنيفة فقلت له: تنظر في كتبه فقال: وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي في شرح العلم غاية ولكنا ما ننصفه.

حتى نسخه:

قال سجادة: دخلت أنا وأبو مسلم المستملي على يزيد بن هارون وهو نازل ببغداد على منصور بن مهدي فصعدنا إلى غرفة هو فيها فقال له أبو مسلم: ما تقول يا أبا خالد في أبي حنيفة والنظر في كتبه؟ فقال: انظروا فيها إن كنتم تريدون أن تفقهوا فإني ما رأيت أحدا من الفقهاء يكره النظر

في قوله ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن حتى نسخه.

قال نصر بن علي: سمعت أبا عاصم النبيل سئل أيهما أفقه سفيان أو أبو حنيفة فقال: إنما يقاس الشيء على شكله أبو حنيفة فقيه تام الفقه وسفيان رجل متفقه.

قال علي ابن مسهر: كنت آتي سفيان فأزفه علم أبي حنيفة فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: ويحك لم تحمل علمك إلى من لا يحمدك عليه.

أرجو أن يغفر الله تعالى لك ذلك:

قال ابن المبارك: قلت لأبي عبد الله سفيان الثوري ما تقول في الدعوة قبل الحرب قال: إن القوم اليوم قد علموا ما يقاتلون عليه فقلت: إن أبا حنيفة يقول فيها ما قد بلغك فنكس رأسه ثم رفعه فأبصر يمينًا وشمالاً فلم ير أحدًا قال: إن كان أبو حنيفة يركب في العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد الأخذ للعلم ذابًا عن المحارم متبعًا لأهل بلده لا يستحل أن يأخذ إلا بما يصح عنده من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والآخر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وما أدرك عليه عامة العلماء من أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه قد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه بل قد كانت منا اللفظة بعد اللفظة قال: قلت أرجو أن يغفر الله تعالى لك ذلك.

المسكين قد شيخ بعدي:

قال أبا سليمان الجوزجاني: سمعت سلم بن سالم يقول كنت قاعدًا عند مسعر وسفيان معنا إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر عن صدر المجلس فسلم عليهم فقال له مسعر: ألا تسلم على أبي عبد الله قال: ومن أبو عبد الله قال: سفيان قال: المسكين قد شيخ بعدي قال سفيان: من لا يشق ثيابه من هذا النبطي قال أبو سليمان: وكان الذي كان بين أبي حنيفة وسفيان من

الشر بهذا السبب.

يرحم الله أباك:

قال أبا يوسف: كنا عند مسعر وسفيان جالس إليه يذاكره إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر وقمت أنا من مجلسي له فقال له مسعر: ألا تسلم على أبي عبد الله فأقبل على سفيان فقال: يرحم الله أباك فلقد كان بعيدًا من حب الرئاسة منصفًا لكل من رآه متبعًا للعلم ولقد أسرع إليك الشيب فقال سفيان: من لا يشق ثيابه من هذا النبطي وقام وخرج.

هو حديث السن والأحداث لهم حدة:

عن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة إذا بلغه عن سفيان ما يقول فيه مبلغ منه يقول هو حديث السن والأحداث لهم حدة فكان إذا أقبل قال هو حديث السن قال سفيان: بكم هو النبطي أكبر سنًا مني حتى يصغرني ولا يستحل أبو حنيفة أن يقول فيه شيئًا غير إنه حدث السن.

أخبار أبي حنيفة مع الشعبي ومحارب بن دثار والأعمش:

قال أبو حنيفة: كنت عند الشعبي فأتاه رجل فسبه فقال الشعبي:

هنيئا مريئا غير داء مخامر ::: لعزة من أعراضنا ما استحلت

نصراني تزوج نصرانية فأسلمت:

عن أبي حنيفة قال: سألت الشعبي عن نصراني تزوج نصرانية فأسلمت فقال ما قال فيها بنو استها يعني الحكم وحمادا قلت لا أدري فقال الشعبي: إن أسلمت هي عرض عليه الإسلام فإن قبل تركت معه وإلا فلها نصف الصداق إن أسلم هو عرض عليها الإسلام فإن أسلمت وإلا فرق بينهما ولا صداق لها.

أقياس أنت:

عن أبي حنيفة عن الشعبي عن مسروق قال: من نذر نذرًا في معصية

فلا كفارة فيه قال أبو حنيفة: فقلت للشعبي قد جعل الله تعالى الظهار الكفارة وقد جعله معصية لأنه قال{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا} [المجادلة: ٢] فقال أقياس أنت.

من هول ما يرى:

قال أبو حنيفة: كنت عند محارب بن دثار فتقدم إليه خصمان فادعى أحدهما على الآخر ثم حضر شاهدان فشهدا فالتفت الخصم إلى محارب فقال في أحد الشاهدين والله إنه لرجل صالح وإنه وإنه فقال له محارب: أتثني عليه وقد شهد عليك قال: إنه والله ما كانت منه هنة قبل هذه فقال محارب بن دثار: حدثني ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الطير لترخي مناقيرها وتخفق بأجنحتها يوم القيامة من هول ما يرى وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النار قال: فرجع الشاهدان عن شهادتهما.

والله لا أفتيت بذلك أبدا:

قال أبو معاوية: قيل للأعمش في علته لولا أن أبا حنيفة يأتيك لأتيناك مرتين في اليوم الذي يعودك فيه فلما جاء أبو حنيفة قال له: إن الناس يستثقلوني بما أصنع بهم في الحديث وقد زدتني أنت عندهم ثقلاً قالوا لي كيت وكيت فقال له: لولا العلم الذي يجريه الله تعالى على لسانك ما رأيتني ولا أحدا من أصحابي ببابك وذلك أن فيك خصالاً أنا لها كاره تتسحر عند طلوع الفجر وتقول هو الفجر الأول وقد صح عندي أنه الثاني وترى الماء من الماء وتفتي به وتجامع أهلك فإذا لم تنزل لم تغتسل أنت ولا هي ولولا أنك تتأول من الحديث ما غاب عنك معانيه ما استحللت أن أكلمك ولكنك تتأول شيئًا غيره والله أولى بك فما تسحر الأعمش بعد ذلك إلا بالليل ولا قرب أهله إلا اغتسل وأمرها بالغسل وقال صلاة وصيام تكون باختلاف

والله لا أفتيت بذلك أبدا.

لا تعد إلى مثلها:

مر أبو حنيفة على بغلته يتبع جنازة فقال الأعمش: أسمع صوت حافر دابة فقيل له: أبو حنيفة فعض على شفته وقال: يا نعمان نمر في سكتنا بغير خفير فتبسم أبو حنيفة وقال: يا أبا محمد أرأيت أن المرء لا يمر في سكته بغير خفير فقال: لا تعد إلى مثلها [1].

فنور الله قلبك كما نورت قلبي:

وروى أن أبا حنيفة كان يتكلم في مسألة من المسائل القياسية، وشخص من أهل المدينة يتسمع، فقال: ما هذه المُقايسة، دعوها فإن أول من قاس إبليس.

فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا هذا، وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس رد على الله تعالى أمره، قال الله تعالى:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ} [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: { فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾} [الحجر: ٣٠، ٣١]، وقال:{إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} [البقرة: ٣٤]، وقال:{ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } [الإسراء: ٦١] فاستكبر ورد على الله أمره، وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر، وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى؛ لأنا نرده إلى أصل أمر الله تعالى في الكتاب، أو السنة، أو إجماع الصحابة والتابعين، فلا نخرج من أمر الله تعالى، ويكون العمل على الكتاب والسنة والإجماع، فاتبعنا في أمرنا إليها أمر الله تعالى، قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: ٥٩]. إلى قوله:{وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ} [النساء: ٥٩]، فنحن ندور حول الاتباع، فنعمل بأمر

(1) القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ - 1985م، 68 - 79.

الله تعالى، وإبليس خالف أمر الله تعالى، ورده عليه، فكيف يستويان؟ فقال الرجل: غلطت يا أبا حنيفة، وتُبتُ إلى الله تعالى، فنور الله قلبك كما نورت قلبي.

بعض المسائل التي أجاب أبو حنيفة عنها:

مسألة، رجل رد عبداً آبقاً من مسيرة ثلاثة أيام.

قال أبو حنيفة: له الجعل أربعون درهماً. وكان القياس أن لا يجب، فترك الناس وأخذ من ذلك بالخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، في خبر طويل، أن رجلاً قدم بآبق من الفيوم، فقال القوم: لقد أصاب أجراً. فقال ابن مسعود: وأصاب جعلاً.

وقال من خالفه: لا يجب الجعل. فترك الخبر وأخذ بالقياس.

مسألة، ولو أن رجلاً حلق لحية رجلٍ، أو حاجبيه، فلم تنبت ثانياً.

قال أبو حنيفة: يجب على الحالق دية كاملة.

وقال من خالفه: لا يجب الدية على الكمال.

وكان القياس أن لا يجب الدية على الكمال، فترك القياس، وأخذ بالخبر المروي في حديث سعيد بن المُسيب، رحمه الله تعالى.

مسألة، ولو أن رجلاً أوجب على نفسه أن ينحر ولده.

قال أبو حنيفة: يلزمه أن يذبح شاة [1].

أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي:

عن الأصمعي قال: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه وكان كثيرًا ما يغني

أَضَاعُونِي وأيَّ فتًى أضاعُوا ::: ليومِ كَرِيهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

(1) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص40.

فلقيه العسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من عاد فأخبر فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب إلى الوالي عيسى بن موسى فقال له: إن لي جارًا أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه إلا خيرًا فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل ما أخذه العسس البارحة فأطلقوا جميعًا فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سرًا ألست كنت تغني يا فتى كل ليلة:

أضَاعُونِي وأيَّ فَتًى أَضَاعُوا

فهل أضعناك قال لا والله أيها القاضي ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك قال فعد إلى ما كنت تغنيه فإني كنت آنس به ولم أر به بأسًا قال: أفعل[1].

لا تفعل!:

وكان سليمان الأعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر؛ قال له الإمام أبو حنيفة النعمان: لولا أني أخاف أن أشق عليك لأكثرت زيارتك. فقال: لا تفعل! فأنت تشق علي والله وأنت في دارك [2].

حبب إلي من دنياكم ثلاث:

عن النبي صلى الله عليه وسلم :♂**حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة**ـــ وقال أبو بكر الصديق: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث الجلوس بين يديك والصلاة عليك وإنفاق مالي عليك وقال في الرياض النضرة قالت عائشة رضي الله عنها: أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفاً وقال عمر رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود وقال عثمان رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي رضي الله عنه وأنا

(1) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، 1 /399.
(2) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 136.

حبب إلي من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم في الصيف وإقراء الضيف فنزل جبريل وقال: يا نبي الله وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث النزول على النبيين وتبليغ الرسالة للمرسلين والحمد لله رب العالمين ثم قال: إن الله تعالى يقول: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسد على البلاء صابر فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم من أحبني كان معي في الجنة وفي أول الحديث إشارة تأتي في أول باب الزهد إن شاء الله تعالى ولما وصل هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث تحصيلي العلم في طول الليل وترك الترفع والتعالي وقلب من حب الدنيا خالٍ وقال الإمام مالك رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث مجاورة روضته صلى الله عليه وسلم وملازمة تربته وتعظيم أهل بيته وقال الإمام الشافعي رحمه الله: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث معاملة الخلق بالتلطف وترك ما يؤدي إلى التكلف والاقتداء بطريق التصوف وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره والتبرك بأنواره وسلوك طريق آثاره [1].

مجنون أنت!:

اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة - رحمه الله - فقالوا: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: مجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل. فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوَّار السيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم ماردیني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 / 2002، 1 / 59.

من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام [1].

أخطأت في خمسة:

قال وكيع: قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام، وذاك أني جئت أريد أن أحلق رأسي فقال لي: أعراقي أنت؟ قلت: نعم، وقد كنت قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: النسك لا يشارط فيه، اجلس، فجلست منحرفاً عن القبلة، فأومأ إلي باستقبال القبلة، وأدرت رأسي من الجانب الأيسر فقال: أدر شقك الأمين من رأسك فأدرته، فجعل يحلق رأسي وأنا ساكت، فقال لي: كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال: أين تريد؟ قلت: رحلي، فقال: صل ركعتين ثم امض، فقلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام إلا ومعه علم؛ فقلت له: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا [2].

أمؤمن أنت!

قال أسد بن عمرو: دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة، فخرج عليهم وقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً فظنت امرأته أنه قد مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول وقد ولدت ولداً، فنفاه الأول وادعاه الثاني، فكل واحد منهما قذفها أو قذفها الذي أنكرها، ما جوابها؟ ونظر أبو حنيفة إلى أصحاب قتادة وقال: إن قال فيها برأيه ليخطئن، وإن روى فيها حديثاً ليكذبن، فقال قتادة: ويحك، أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا، قال: ولم تسأل عنها؟ قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه، فقال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من الحلال والحرام، فسلوني عن التفسير؛ فقام أبو حنيفة

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 3 / 127، والرياض الناضرة للسعدي ص 258.
(2) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 5 / 131.

فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في قول الله تعالى:{قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ} [النمل: ٤٠] قال: نعم هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان، وكان يعلم اسم الله الأعظم، قال: وهل كان يعرف الاسم سليمان؟ قال: لا، قال: أفيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي؟ قال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء؛ فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، قال: ولم؟ قال: لقول الله تعالى:{ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢} [الشعراء: ٨٢] قال أبو حنيفة: فهلا قلت كما قال إبراهيم حين قال الله تعالى:{أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي} [البقرة: ٢٦٠] فقام قتادة مغضباً، وحلف أن لا يحدثهم بشيء البتة. وأنشد:

وبيت خلا من كل خير فناؤه ::: فضاق علينا وهو رحب الأماكن
كأنا مع الجدران في جنباته ::: دمى في انقطاع الرزق لا في المحاسن[1]

أترغب حتى أسميك!:

قال الحسن بن علي قاضي مرو: كان أبو حنيفة من أفطن الناس، وذلك أن رجلاً كان يتجمل بالستر الظاهر والسمت البين، وكان يلبس على ذلك، فقدم رجل فأودعه مالاً خطيراً وخرج حاجاً، فلما قضى نسكه عاد إلى صاحبه وطلب وديعته فجحده، فألح عليه فتمادى، وكاد يهيم الرجل، واستشار ثقة فقال له: كف عنه وصر إلى أبي حنيفة فدواؤك عنده، فانطلق الرجل إليه وخلا به وأعمله شأنه وشرح له قصته، فقال له أبو حنيفة: لا تعلم بها أحداً، وامض راشداً وعد إلي غداً، فلما أمسى أبو حنيفة جلس كعادته واختلف الناس إليه، فجعل يتنفس الصعداء كلما سئل عن شيء، فقيل له في ذلك قال: إن هؤلاء - يعني السلطان - قد احتاجوا إلى رجل يعينونه قاضياً إلى مكان، فقال الناس: اختر من أحببت فما يحضرك إلا نجم، ثم

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 6 / 82.

أسبل كمه وخلا بصاحب الوديعة وقال له: أترغب حتى أسميك؟ فذهب يتمنع عليه، فقال له أبو حنيفة: اسكت فإني أبلغ لك ما تريد، فانصرف الرجل مسروراً يظن الظنون بالجاه العريض والحال الحسنة، وصار رب المال إلي أبو حنيفة فقال له: امض إلى صاحبك ولا تخبره بما بيننا ولوح بذكري، وكفاك، فمضى صاحب الوديعة إلى الرجل ذلك فوفاه ماله، فصار الرجل إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه، فقال: استر عليه، ولما غدا الرجل إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء، نظر إليه أبو حنيفة وقال: إنه قد نظرت في أمرك فرفعت قدرك عن القضاء [1].

لو ناظر الشيطان قطعه:

قال أعرابيّ: سمعت خبراً استكّت منه مسامعي، واستهلّت له مدامعي. قال أبو عبد الرحمن المقرئ: كنّا عند المقام وفينا مالك بن أنس، فطلع علينا أبو حنيفة فقال مالك: لقد جاءكم رجلٌ لو ناظر الشيطان قطعه [2].

قال أبو حنيفة: إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله شيء أخذناه، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم.

لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان!:

قال أبو معاذ: أهل الكوفة صاروا موالي لأبي حنيفة لأن الضحاك الحروري دخل الكوفة عنوة فجلس في الجامع فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري، فخرج أبو حنيفة إليه بقميص ورداء فقال: أريد أن أكلمك بكلمة، قال: هات، قال: لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان؟ قال: لأن القوم مرتدون، فقال أبو حنيفة: لم يزل كان هذا دينهم، أو كانوا على غير هذا؟ فقال: كيف قلت؟ أعد علي، فأعاد، فقال الضحاك: أخطأنا، أخطأنا، أغمدوا سيوفكم وارجعوا.

(1) أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، 6 / 95.
(2) أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، 8 / 202.

فأن كنت كاذباً فأني لا أصلح:

قال خارجة بن مصعب: دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فأبى فحبسه، ثم دعا به فقال له: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، لا أصلح للقضاء، فقال: كذبت، فقال أبو حنيفة: قد حكم علي أمير المؤمنين بأني لا أصلح لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذباً فإني لا أصلح، وإن كنتُ صادقاً فقد قلت: إني لا أصلح، فرده إلى الحبس.

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول: ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

يا هذا، ليس للقرآن عندك قدر!:

أسلم أبو حنيفة ابنه حماداً إلى المعلم فعلمه الحمد فوصله بخمسمائة درهم، فقال المعلم: إن هذا عظيم، فقال أبو حنيفة: يا هذا، ليس للقرآن عندك قدر؟ [1].

أمكنك الهرب فلم تهرب:

قال حدثنا محمد بن يحيى البصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله: أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فإني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قولي فلا أصلح له، وإن كنت كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروضهم. وأما سفيان فأدركه

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 9 / 212 - 215.

المشخص في طريق فذهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح إن مكنتني من سفينتك وإلا ذبحت بغير سكين. تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين فأخفاه الملاح تحت السارية. وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون. وأما شريك فقال المنصور: تقلد فقال: أنا رجل خفيف الدماغ، فقال: تقلد وعليك بالمعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثوري، وقال أمكنك الهرب فلم تهرب [1].

قل لغريمك: إن المال عندي:

ويقال: إن سبب وضع أبي حنيفة الفقه وتدوينه أنه كان في عصره اثنان حضرا إلى الحمام وأودعا صاحبه وداعة لها صورة، ودخلا الحمام. ثم إن أحدهما خرج وطلب الوداعة وأخذها وراح في سبيله. فلما خرج الآخر طلبها من الحمامي فقال له: إن صاحبك خرج وأخذها، فراح إلى الحكام في ذلك الزمان وشكاه إليهم فألزموه بالقيام بها للغريم الحاضر وقالوا له: أنت فرطت، وكان الواجب أن لا تدفع الوداعة إلا إليهما معًا كما أودعاك معًا، فبقي ذلك الرجل في حيرة لا يدري ما يصنع. فلقيه أبو حنيفة فسأله عن حاله لما رآه من الفكرة والحيرة، فأخبره بقضيته، فقال له: قل لغريمك: إن المال عندي، فأحضر لي صاحبك لأدفع الوداعة إليكما، فإذا أتى به حصلت على غريمك. فكان ذلك سبب خلاص الحمامي من تلك الورطة [2].

يا أبا يوسف من كان صاحب راية طالوت!:

عن المزني، عن الشافعي، قال: مضى أبو يوسف القاضي ليسمع المغازي من أبي إسحاق أو من غيره فأخل مجلس أبي حنيفة أياماً فلما

(1) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، 1 / 11.
(2) الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر، ص 70.

أتاه، قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف من كان صاحب راية طالوت؟ قال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كانت أولى بدراً أو أحداً، فإنك لا تدري أيهما كان قبل، فأمسك عنه [1].

متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟:

ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدي بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم [2].

ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا:

قال أبو حنيفة رحمه الله: رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه إلى صدري. فهللني، فسألت ابن سيرين، فقال: ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا. قلت: أنا رأيتها. قال: إن صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك [3].

قوموا فما لكم هنا من فرج:

وحكى الهيثم بن عدي قال: ماشيت الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه في نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلاً وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا: قال فتمطى المريض وقال: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال: قوموا فما لكم هنا من فرج [4].

فتوى أبي حنيفة:

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص 253.
(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 / 193.
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 477.
(4) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص 14.

ومن المنقول من كتاب الأذكياء أن بعض اللصوص دخل بيتًا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم في إبقاء مهجته وأخذ ما في البيت بكماله فقال كبيرهم: حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يعلم بهم أحدًا فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لأجل اليمين فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له: أحضر أكابر حيك وأدين جيرانك وإمام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه؟ قالوا: نعم فقال: اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدًا واحدًا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال: لا وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له [1].

لا تتعرض لأبي حنيفة:

ومنه أن الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا حنيفة فحضر يومًا عند أمير المؤمنين فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إن أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول إذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزًا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك إلا متصلاً باليمين فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك عهد قال: كيف ذلك؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة.

بخمسة دراهم:

ومنه أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت إلى الماء فجاءني أعرابي ومعه قربة ملآنة فآبى أن يبيعها

(1) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص50.

إلا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت: ما رأيك يا أعرابي في السويق فقال: هات فأعطيته سويقًا ملتوتًا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال: علي بشربة فقلت: بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقي الماء.

ومنه أنه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يومًا من الأيام: يا إمام أريد التزويج إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح جاء إلى أبي حنيفة فقال: إني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى؟ قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت إليه دخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد إلى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج إليه وأظهر أنه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء فقالوا: لم نصبر على ذلك فقال: أرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمعوا وأجابوا إلى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى: لا بد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة: أيهما أحب إليك أن ترضى بما بذلوا لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال: فقال الفتى: الله الله يا إمام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر [1].

تلذذ العلماء بعلمهم:

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا أخذته لذة المسائل يقول: أين الملوك من

(1) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص 51.

لذة ما نحن فيه؟ لو فطنوا لقاتلونا عليه [1].

أفيسرك أن أمك مغنية!:

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه؟ قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك نباذة؟ فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه. قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك مغنية؟

بتحليل أبي حنيفة!:

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي: من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة؟ فقال له أبو حنيفة: يا رجل إنك فعلت قبيحاً! فقال: ألست حللته؟ قال: صدقت ومن الحلال أنك تجامع امرأتك، ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك [2].

قص الشعرات البيض:

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجام: التقط هذه الشعرات البيض، فقال الحجام: لا تلتقطها فإنها تكثر. فقال: فإذاً التقط السود فلعلها تكثر [3].

ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة:

مات رجلٌ وأوصى إلى أبي حنيفة وهو غائب، فقدم أبو حنيفة وارتفع إلى ابن شبرمة، وادعى الوصية وأقام البينة، فقال له ابن شبرمة: يا أبا حنيفة، احلف أن شهودك شهدوا بحقٍّ، قال: ليس علي يمينٌ، كنت غائباً، قال: ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة، قال: ضلت مقاليدي؟ ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان أن فلاناً شجه، أعلى الأعمى يمينٌ أن شهوده شهدوا بحقٍّ وهو لا يرى؟

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 9.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 /304.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 461.

قال أعرابيٌّ لعبد الملك: الناقة إذا كانت تمنع الحلب قومتها العصا، قال: إذن تكفأ الإناء وتكسر أنف الحالب [1].

الآن يمد أبو حنيفة رجله!:

وزعموا إنَّ الأمام أبا حنيفة، رحمه الله، كان به ذات مرة ألم في رجله، فكان يمدها في المجلس بين يدي أصحابه. ثم إنّه يوماً حضر مجلسه رجل ذو هيئة كث اللحية لا يعرفه، فتوهمه فقيهًا وقبض رجله استحياء وصبر على ذلك مدة، والرجل لا يتكلم بشيء فبان له منه خلاف الظن، فمد رجله وقال ذلك [2].

من كلام الإمام أبو حنيفة:

" إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي ".

" لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا؛ ما لم يعلم من أين أخذناه ".

وفي رواية: " حرام على مَن لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي ".

زاد في رواية: " فإننا بَشَر؛ نقول القول اليوم، ونرجع عنه غداً ".

وفي أخرى: " ويحك يا يعقوب! - وهو أبو يوسف - لا تكتب كل ما تسمع مني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم، وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً، وأتركه بعد غد ".

وقال الإمام أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله فيها ولي [3].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: ما أعلم أشد حزناً من المؤمن، شارك أهل الدنيا في هم المعاش، وتفرد في هم آخرته [4].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 2 / 361.
(2) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال و الحكم، ص 59.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 8.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 342.

وقال أبو حنيفة: المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجر لا يثمر [1].

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا بليت بالسلطان فخرق دينك بالملق والروغان، ورقعه بالكفارات والاستغفار [2].

وقال أبو حنيفة: لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغنى به عن لئام الناس [3].

قيل: وجد حماد بن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة زلة كانت منه إليه، فأظهر الإعراض عنه، فكتب إليه أبو حنيفة رقعة يقول فيها: من كان ذنبه إلى الكرام، والعفو عنه في أيدي الصالحين، وتوبته إلى الرحماء، وجنايته إلى الحكماء، كان حرياً بالسلامة، وجديراً بالتخلص من الملامة، وكان ذلك من سعادة جده، ومن التوفيق الذي لا يسلمه إلى أشد عاقبة أمره.

فلما قرأها حماد صفح عن زلته، وأعاده إلى رتبته [4].

شهد أبو حنيفة نكاحاً فقالوا له تكلم، فقال: الحمد لله شكراً لنعمته، وسبحان الله خضوعاً لعظمته، ولا إله إلا الله إقراراً بتوحيده، وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره. إن الله عز وجل خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً، على أن أحل النكاح وحرم السفاح وأمرنا بالإصلاح، ثم إن فلاناً خطب إلى فلان، فعلى اسم الله فلتكن الإجابة، وعلى الخيرة تكون منه العقدة، زوجت وأنكحت [5].

وسئل أبو حنيفة عن الغنى والفقر فقال: وهل طغى من طغى من خلق الله إلا بالغنى؟ [6].

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 /11.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 /83.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص170.
(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 458.
(5) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 244.
(6) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 454.

* * *